

عبد الحميد عبد اللطيف

اللوح المحفوظ

رواية



الرواق للنشر والتوزيع

مكتبة عابث الالكترونية

إهداء

لكل من لديه (آدم) بداخله!

- إِنَّا لَنَقِي زَمَنٍ لِّفَرَطٍ شَدُوذِهِ مَن لَّا يُجِنُّ بِهِ فَلَيْسَ بِعَاقِلٍ -

أحمد الصافي النجفي
(1897 - 1977)

كي تعرف إحساسي في تلك اللحظة عليك أن تُغمض
عينيك وتترك نفسك تمامًا دون تفكير.. ثم تأمل.. ارحل
داخل مستنقع الماضي.. لا تتوقف.. فقط لا تتوقف عند
تلك اللحظات التي ستُهرع إليك لتجعلك تشعر بغصة في
الحلق.. توقف الآن.. هل ترى؟ أنت تتذكر.. أنت تبتسم..
لا تجعل شيئاً يُعكّر ذلك.. فقط ارحل أبعد لتتضح صورة ما
بعد الأغصان المتشابكة.. واستعد المزيد من تلك اللحظات
السعيدة.. الكلمات.. المواقف.. الثواني.. النظرات.. الأنفاس..
التي ستجعل الابتسامة تتسع لا شعوريًا.. توقف عن كلمة
(مفيش).. لا تجعل نفسك تفرض عليك إجابة ليست بصحيحة..
فقط توقف عن رثاء الذات ولو لتلك الدقائق المعبودة.. لا
تجعل نفسك تحجب عنك أجزاء من ذكرياتك.. لا تجعلها
تُركّز على نوع محدد قد عوّدتك عليه.

الآن.. اترك كل شيء.. أترك اللحظات التي لا تزال تُلح
محاولة فرض نفسها عليك وأنت في رحلة استعادة الذكريات
السعيدة.. واطرك أيضًا محاولات استعادة هذه الذكريات..
ولا بأس لو تركت الابتسامة على وجهك.

ركّز على شيء واحد فقط.

هل تدرك تلك اللحظة؟

ذلك الإحساس بالراحة الذي أصابك منذ بضع سنين..
بضعة شهور.. البارحة.. ذلك الإحساس الذي أصابك
وأنت تُعارك همومك، إحساس اليقين أن هناك شيئاً أكبر
من تلك الدنيا.. إحساس الرغبة غير المبررة بالنظر إلى
السماء.. والحنين لشيء لا تدري ما كنهه.. وأن الغد لا يزال
يحمل الكثير بثناياه.. ذلك الإحساس الذي ما إن أدركته
تمنيت لو استطعت أن تكمل به حياتك.. تمنيت الدوام
لذلك الإحساس الذي خطفك من منتصف دوامات الفكر
والحزن لصفاء وهدوء.. والذي ما إن حاولت التمسك
به وحفر الموقف في الذاكرة لتذكره وقتما شئت - كي يظل
بجانبك في اللحظات القادمة - ذاب مخفياً في القاع.. فلا
تراه.. ولا تستطيع استعادته كاملاً، كما الآن.. بل ويصيبك
شك أنك لم تشعر بشيء في المقام الأول.. وتتمنى فقط لو
يعاود الزيارة.. كي تعرف.. وكي لا تتركه يهرب.

حسناً.. الآن تأمل.. وحاول أن تستعيد تلك اللحظة من
الذاكرة.. ستجدها.. لقد حصل هذا الموقف معك على الأقل
مرة في عمرك.. هل وجدته؟ لا تحاول جاهداً أن تشعر به كما
شعرت به وقتها، لن يكون الإحساس بالقوة ذاتها وسيكون
خفيفاً بفعل الزمن وتراكم الأحداث.. لا تقسّ على نفسك.

الآن تذكر..

أغمض عينيك كما شئت..

أنت تملك كل الوقت..

لا داعٍ للعجلة..

لا يوجد أحد يطارذك..

هل استعدته؟

ضع يدك عليه برفق..

إذن أنت تُدرك الآن كيف هو إحساسي في تلك اللحظة،
أنا الآن في اللحظة ذاتها.

مستقلتيّ أسفل تلك الشجرة، أداعب تلك الزهرة..
ناظراً إلى السماء.. مدرّكاً وسع هذا الكون.. ولا أدركه..
فأستشعر.. لون السماء داخل عيني مختلطاً بألاف الألوان
المختلفة لملايين الفراشات التي تملأ سماءي.. ألوان لا
أعرف أسماءها ويأتييني اليقين أنها خارج نطاق الألوان
السيمع.. صوت الطبيعة يعزف الألحان التي تُحببها الروح..
كل شيء مثالي رائع.. حتى رأيت تلك الحشرة الغريبة وسط
الفراشات.. ضيقتُ صدقتي محاولاً استيضاح معالمها، لكن
لا نتيجة.. أهملتها.. وعدت للنظر إلى السماء.. لكن دون
مداعبة الورد ودون رؤية الفراشات التي أمام عيني..
وببال مشغول أرى سماءي، فقط شعرت أن الشيء الوحيد

الذي يُداعب عقلي هو فكرة الالتفات لتلك الحشرة..
وعندما بدأت أشعر ببعض القلق.. حوّلت نظري إلى حيث
كانت منذ قليل محاولاً أن أجدها.. كانت تدور بدوائر وسط
الفراشات، وظل نظري - دون داعٍ - يدور معها ويراقبها.
من أين أتت؟

هنا.. وبعد أن سرقت بعض الاهتمام.. بدأت تقترب
شيئاً فشيئاً.. فاعتدلت بجلستي.. فهاجمتي.. فانتفضت
من الخوف.. فقرصتني.. فبدأت أسمع رنة خفيفة للغاية
بأذني.. غضبت.. فظلت تدور على مسافة أقرب.. جعلني
ذلك أستوضح معالمها.. كانت رأسها إبرة.. وذيلها إبرة..
وجناحها كالإبر.. وهنا كان تفكيري يقتلها.. لكن كيف؟
تسلقت الشجرة التي كنت أجلس تحتها مستظلاً منذ
قليل.. وكسرت أحد فروعها.. ووقعت على الأرض ممسكاً
به.. لكن مع خروج أربع حشرات تماثل الحشرة الأولى
من مكان الفرع المكسور.. ازدادت غضباً.. فتجمعت معاً
واقتربت أكثر.. طاردها ملحواً بالفرع بغضب.. فقتلت
بعض الفراشات بدلاً منها.. وللعجب بعد موت الفراشات
تحوّلت إلى صورة ماثلة لهذه الحشرة.. كدت أجن.. من
أين تأتي هذه الكائنات الصغيرة المزعجة.. لماذا لا تريد أن
تذهب؟

لَوَحْتُ بكامل غضبي لأقتل المزيد من الفراشات خطأً..
لتبدأ هذه الكائنات الصغيرة بالانتشار أكثر.. وبدأ الرنين

داخل أذني يتحوّل إلى طنين مزعج.. وبدأت بعض هذه
الكائنات تقوم بمهمة قتل الفراشات.. والبعض الآخر
يستقر على الأرض فتدب إيرتها في الزرع فتحوّله إلى رمال..
وبدأ اللون الأخضر المزوج بجميع الألوان الأخرى
يتحوّل إلى الأصفر.. وأنا لأزال ألوح بالفرع والّوح، لكن
بلا طائل.. حتى عندما كنت أصيب إحداها، كنت أجدها
تقع على الأرض لوهلة وأراقبها فأجدها تسيقظ أكبر حجماً
من ذي قبل، تحوّلت الأرض تحت قدمي إلى رمال.. وتحوّلت
السماء والزرق الصافية لشمس حارقة.. وبدأت أتساءل..
لماذا فقط لم أترك تلك الحشرة اللعينة ببادئ الأمر وأكملت
متعتي بالظلّ وألوان الفراشات وصوت الطبيعة!

كل شيء من حولي يحترق الآن.. ملايين الحشرات حولي
في كل مكان.. وقع الفرع مني أرضاً.. لأجد أن الرمال تبلمعه
وتسحبني للأسفل.. رمال متحركة ولا أستطيع الحركة..
الطنين المزعج يتحوّل إلى كلام متداخل لا أستطيع تمييزه..
فقط يزعجني ولا أريده، لكنه يزداد.. الرمال تجعلني أتخذ
خطوة بصعوبة للهرب من مصير فرع الشجرة الملتهم..
لكنها خطوة لا أعلم إن كانت في الطريق الصحيح أم لا..
إنما هي مجرد خطوة - بلا فائدة - كي لا أعلق بمكاني ها هنا
للأبد.

وهل أنا لست بعالق؟



قالت لي أمي إن هناك جنة ونار.. أنا أعرف طبيعة النار، فهي تحرق.. لكن لا أعرف ما طبيعة الجنة.. ما أعرفه.. أن ذلك السلم الخشبي يؤدي إلى هناك.. الجنة.. سأعرف من خلال ذلك السلم - عندما أستطيع تسلقه يوماً ما - شاكلة المتعة الأبدية.. كما أعلم تماماً ماهية العذاب الأبدي

انعكاس صورتي بعيني (جوليانا).. قالت ولكنها إنجليزية واضحة.. واضحة بعض الطاقة بالألف بالاسم الذي ظنت أنه اسمي:

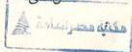
- أدهم.

لرأصيح لها، فقط ابتسمت منطلقاً بعيداً - بجسدي فقط - عن السلم الخشبي لبيتنا الدافئ.. وقبل أن أفتح الباب.. نظرت للسما وتذكرت كلامي مع أمي عن ما هو القدر، ومعظم كلامها الذي لم أفهمه.. ولأنني أشعر بالأمان عندما تحضنتني أمي.. فقلت من قلبي لله:

- يارب حضن من القدر!

* * *

سألت أمي ما هو الحب، وكانت منشغلة بقراءة كتاب ما.. فضحكت عندما سمعتني وأشارت لي بأن أقرب.. وعندما اقتربت.. حضنتني وقبلتني ثم نظرت لي بداخل عيني، وقالت إن الحب يعني أن تُفضل شخصاً على نفسك وأن يُفضلك ذلك الشخص على نفسه.. فتصيراً شخصاً



واحدًا.. يحب نفسه لأن جزءه الآخر أحبه.. ثم صمتت قليلاً وأضافت عندما لاحظت علامات عدم الفهم على وجهي.. أني سأجد ذلك الحب يوماً وعندما سأفهم ماذا تعني.. ابتسمت لأنني شعرت أن هذا المسمى (بالحب) شيء جميل.. وقبلت أمي على خدها وجريت إلى حيث غرفتي.. قلبت بدفاتر مدرستي حتى وجدت الدفتر المنشود.. أخرجت آخر صفحة، والتي كنت كتبت بها البارحة ليلاً - وكما أفعل كل ليلة - تحت تاريخ اليوم.. بعض المهام التي سأفعلها.. ومن ثم شطبت على رقم ~~سؤال أمي سؤالاً~~ جديداً:

كان ذلك سري الصغير الذي لم أصرح به أحداً حتى (أدهم).. كان اليوم الأحد.. عطلة نهاية الأسبوع.. وكان مسموحاً لنا باللعب بجهاز (السيجا) كما نحب.. شعرت برغبة لأن أسابق (أدهم) بسيارات العالر الافتراضي.. وعندما لم أجده داخل المنزل.. ولم أجده بالحديقة خارجاً.. قررت أن أعود أدراجي لأسأل أمي عن مكانه.. ولكن هنا قابلتها.. كانت في الشارع بجانب سور المنزل.. تحبب كرتنا أنا و(أدهم) بالحائط لتعود إليها.. نظرت إلى باب المنزل لأتأكد أنه ما من أحد يراني.. ومن ثم خرجت من باب الحديقة.

- دي كورتى.

قلتها ولت نفسي بعدها لأنني لم أبدأ بالسلام أولاً..
فقلت:

- آسفة.

وانحنى وأمسكت الكرة لتسلمها لي يدًا بيد، موضحة:
- أنا لقيتها هنا وكنت مستتية ماما فلعبت بيها.
أخذت منها الكرة قائلاً:

- ولا يهيك.

في تلك اللحظات ظهرت امرأة باسمه - أمها علي
الأرجح - لتقول لها:

- حواء، يلا بينا.

فظللت واقفاً مكاني مسكاً بالكرة لا أنطق بشيء..
وابتعدت هي بعد أن ابتسمت ولوّحت لي مودعة إياي.

* * *

بعد زواج أمي بأربع سنوات وانتقالها من (المنصورة)
بعيداً عن أصدقائها إلى (لندن).. عاشت فترة لا بأس بها
لا يوجد في حياتها أصدقاء ولا عمل سوانا أنا و(أدهم)،
وذلك حتى قابلت (جوليانا) منذ ستين.. (جوليانا) هي
صديقة أمي الوحيدة.. دائماً ما يجلسان معاً يشاهدان ذلك
المسلسل الذي تدور أحداثه في مستشفى.. دائماً ما تجتمعان
معاً وتصنعان الوجبات الجديدة التي تحاولان ابتكارها،

ويكون علي أبي وزوجها وأنا و(أدهم) و(جون) أن نتناول
ذلك الطعام، سواء كان جيداً أو لا يؤكل.. علمتها أمي
بعض الكلمات العربية كذلك.. كنت و(أدهم) نحب
(جوليانا) لأن أمي تحبها، وكنا نحب (جون) ابنها مع أنه
صامت معظم الوقت.

(جوليانا) كانت دائماً ضاحكة.. لم يكن لديها البرود
الإنجليزي الشهير.. كانت دائماً ما تحب أن تحكي قصتها مع
زوجها، وكيف كان (عمار) المغربي الأصل قد وقع في غرامها
من النظرة الأولى عند زيارته السياحية لكاسل كومب،
قربيتها.. عندما كانت تركب ذلك الفرس ووقعت من
فوقه فالتقت أعينها.. وكيف ذهب (عمار) إليها وساعدها
وحملها حتى يبيتها بعد الثواء كاحلها.. دائماً ما تحكي كيف
انجذبت إليه.. وعن تعارفها أكثر بعد ذلك وانتقالها للندن
للاستقرار ها هنا.

كنا في ذلك اليوم جميعاً مجتمعين حول طعام العشاء..
كنت دائماً ما أظن أنني أقرأ الأفكار من نظرات العيون
(أفهم غاية النظرة كما قال الخال الأبودي)، لكن ومن
وسط أحداث كثيرة في ذلك اليوم.. لا زالت أتذكر نظرة أبي
لجوليانا ونظرته له.. ونظرتي لأدهم ونظرته لي بعد أن لاحظ
ما لاحظته.. لكننا.. ولأن لغة العيون غير معترف بها.. أكملنا
أكلنا في صمت.

* * *

أكره ذلك المظروف الأصفر الكبير الذي يحمل الأشعة
بدخله - كما عرفت فيما بعد - طرف السيجارة المشتعل..
والدخان الغاضب الخارج من أنف أبي.. كان كل شيء
يتحرك ببطء.. حزن أمي.. عينا أخي تراقب الموقف..
الفراشة لاتزال ترفرف بيدي التي تحتضنها برفق..
عنت أبي وهو يجذبها.. حبات العرق على جبينه مع أننا كنا
في الخريف.. تحول حزن أمي لدموع مكتومة ناظرة إلينا
مبتسمة ابتسامة منكسرة.. يدي تحضن الفراشة بقوة أكبر..
الورق الأصفر يتساقط بالخارج.. الفراشة تطير.. رفرقة
جناحيها مبتعدة عني.

سألت أمي مرة.. ما الذي يصيبنا بالحزن أو السعادة؟
وقالت لي إننا نشعر بالحزن من السعادة ونشعر بالسعادة
من الحزن.. وعندما قلت لها إني لا أفهم ماذا تعني، قالت
لي عندما أكل الحلوى تكون أول قطعة هي الأمل، وباقي
القطع لا تكون بنفس مقدار الحلاوة لأن اللم أصبح حلوا..
وكذلك الحياة.. أتذكر أنني هزرت رأسي وقتها عن عدم
اقتناع، وتأكدت من أن أحدا لا يراي.. وشطبت بدفترتي
سؤال أمي لهذا اليوم.. لكن كل ما فهمته من أبي يومها
أنها لديها ما يسمى بالسلطان.. وفهمت فيما بعد أنه أحد
أصدقاء الموت.

* * *

كنت نائما في الحديقة، يدي خلف رأسي أنظر للسماء

المليدة بالغيوم.. حتى اختفت السماء وظهر وجه (حواء)..
- أدهم..

قالتها غير متسائلة.. قالتها على يقين بأني (أدهم)..
اعتدلتُ بجلستي وجلستُ بجاني.. وقبل أن أوضح
لها.. أمسكت بيدي التي تمسك العشب.. وقالت إنها آسفة
لما حدث لوالدي.. وهي تنظر في عيني.. هل لا تستطيع
التفريق بيننا حقاً؟

ما الذي جعلها تحب (أدهم) ولا تحبني أنا إذن؟
وهل هي تحب (أدهم) أصلاً إن كانت لا تستطيع
التفرقة؟

لم أنطق.. ونظرت إلى يدها فوجدت أنني تركت العشب
وأمسكت يدها أيضاً بقوة.. لكنني لاحظت عندها أنني
البس معطف (أدهم)، لأنني لم أجد معطفي وكنت أشعر
بالبرد.

هل أقول لها إنني لست أدهم؟

هل يوجد ما يسمى بالحب؟

* * *

لعبت (جوليانا) بخصلات شعري وأنا أمسك ذراع
(السيجا) ضاغطاً على الأزرار بقوة محاولاً اللحاق بأخي
الذي يسبقني.. حتى ظهر (أبي) واستقبلها بابتسامة ونظرة

ذات مغزئى.. فتشت تركيزي عندما سلمت عليه وأطالا السلام.. قال وهو لا يزال يمسك يدها إن الشيء الذي تكلم عنه سابقاً موجود بمكتبه.. ومن ثم ترك يدها واتسعت ابتسامتها، واتجهت معاً ناحية المكتب وأغلق أبي الباب.

- كسبتك!

قالها (أدهم) بعد أن استطاع بنجاح أن يسبقني، لكنه نظر إلى حيث الباب المغلق عندما لم أجد رد الفعل المعتاد عند خسارتي، بالتذمر والسعي لبدء سباق جديد.. فهم ما أفكر به كما هو الحال معنا دائماً.. ترك (أدهم) ذراع (السيجا) فتركته بدوري، وخرجنا من باب بيتنا دون كلمة أو ضجيج، درنا حول المنزل حتى توقفنا أسفل نافذة غرفة أبي.. حركنا يدينا المضمومتين ثلاث مرات دليلاً على العدة.. وفي العدة الثالثة انفرجت يدي مفرودة لتدل على (الورقة)، وظل كفت (أدهم) مضموماً دلالة على (الصخرة).

فانحنى (أدهم) وتسلمت عليه.. وعند وصولي للنافذة.. أحسيت رأسي ولم أظهر إلا عيني عند إفريز النافذة.. لأرى أبي و(جوليانا) يتبادلان القبل الحارة.

* * *

كنت بالخارج أمسك بالقلم وأخط بآخر صفحات دفثري.. أكتب كلاماً يحدث.. أكتب أن أمي بداخل تلك الغرفة وفي جسمها العديد من الأنابيب.. وأرسم.. وأرسم

كل ما يخطر على بالي دون تفكير مسبق.. وأكتب أن أبي يخون أمي مع أعز صديقاتها وأثناء مرضها.. وأرسم..

ظلمت على هذه الحال حتى خرج أبي من الغرفة ونادى علي:

- ماما عايزة تشوفك يا آدم.

دخلت لأرى أمي باهتة.. حاولت أن أبتسم لأبشها الثقة.. حاولت أن أجد في ذهني أي كلام أقوله يحسن من الموقف ولو قليلاً.. يجعل من أمي أفضل حالاً.. لكن ولأني دائماً في المواقف التي تتطلب مني كلاماً؛ لا يأتي الكلام المناسب الذي كان من المفترض قوله إلا بعد انتهاء اللحظة.. كانت نتيجة جميع محركات البحث في عقلي.. لا نتيجة..

أشارت لي أمي بأن أقرب.. اقتربت زاحفاً نحوها، ليس لأني لا أريد أن أقرب.. ولكن لأني كنت في صراع مع نفسي لأجد ما أقول، ضمتني.. فصرت بداخل عالمي الأول.. وهمست لي داخل أذني.. كلمات.. كانت آخر ما قالته لي.

* * *

كيف يأتي النوم إلينا؟

كان ذلك من الأسئلة التي أردت أن أسأل أمي إجابتها.. لكن ولأني لم أكن أستطيع إلا أن أسألها سؤالاً واحداً يومياً، كما أكتب في دفثري.. فقد فات أوان أن أسألها أي أسئلة

الآن.. وبلا لغبابة ذلك.. فكل يوم بعد فراقها تزيد الأسئلة أكثر.

حاولت في ليلة سابقة أن أعرف إجابة هذا السؤال.. لكن.. وسط تفكيري وتركيزي لم يأت النوم.. حتى توقفت عن التفكير لأجد نفسي أستيقظ في الصباح.. ومنذ ذلك اليوم تخيلت أن النوم هو صديقي الذي لا يجب التفكير كثيرًا.. واليوم ها أنا لا أفكر، لكن النوم لا يأتي.. نور الأباجرة التي على الكمبيوتر الصغير الذي بجانب فراشي يعكس ظلي على الحائط.. لقد علمتني أمي تلك الحركة قديمًا.. شبكت يدي معًا.. فارتسم قلب.. شبكتها مرة أخرى بطريقة مختلفة.. فارتسم طائر.. قالت لي أمي ذات يوم إنها ستعلمني أشكالاً جديدة.. لكن أظن أنه فات أوان ذلك.. شعرت بغضب داخلي.. وحاولت أن أشبك يدي بطرق مختلفة لكي يظهر لي أي شكل.. لكن كانت النتيجة هي انعكاس واضح لشكل أصابعي المتداخلة.. انفتح الباب فجأة وظهرت (جوليانا) زوجة أبي.. نظرت لي بعينها الزرقاء وسط الظلام ووجهها الحالي من أي تعبير، ثم ارتسمت على وجهها ابتسامة باردة.. أستغرب من نفسي كيف كنت أرى ابتسامتها مميزة فيما سبق، فالآن معها فقط أستطيع أن أرى كيف تكون الابتسامة كريهة.. قالت بلمنتها الغريبة بالعربية:

- لو مش عارف تنام أنا أحكيلك حدوتة.

كنت أريد أن أقول لها إني لست طفلًا.. ولست بحاجة

لأي حوادث، خاصة منها.. وكانت أصابعي لا تزال متشابكة معًا لم تفقد الأمل بعد في أن تجد شكلاً جديدًا.. وكنت أريد الاستمرار في المحاولة، فقلت لها:

- شك..

قاطعتني بأن أغلقت الباب وجلست بجانبني على الفراش، وبدأت في السرد:

- زمان كان فيه ولد شقي.. دايماً الناس اللي حواليه بيتأذوا.. عشان كده النوم ماكنش بيعبه..

فككت أصابع يدي المتشابكة لا إرادياً واتسعت عيناي مفكراً (هل تقرأ أفكاري؟).. اعتدلت هي مبتسمة ابتسامتها الباردة.. مكلمة في تلذذ عندما لاحظت انتباهي المفاجئ:

- وف يوم بعد ما اتأذنى حد قريب منه.. يوم ماكنش فيه قمر.. وبعد ما الدنيا بقت ضلمة.. وهو يحاول ينام.. سمع خربشة تحت السرير..

ومن ثم مرت بأظافر الطويلة المصبوغة بالأحمر على الحائط بجانبني حيث كان العصفور منذ قليل، ليصدر صوتاً أصابني بالقشعة، ويجعلني أفكر للحظة قبل أن تكمل (هل هذه المرأة مجنونة؟) لأن هذه القصة ليست لطفل (تَبًا.. هل أنا طفل؟!)

- الخربشة ابتدت تزيد وتزيد، وبعدها...

أمسكت قدمي من أسفل الغطاء بحركة مفاجئة جعلتني
أنتفض، مكملة:

- مسكت رجله إيد ملمسها غريب وباردة..

كنت معتدلاً في الفراش الآن.. محدّقاً بعيني.. وعندما
قالت ذلك شعرت بأن ملمس يدها ثلجي وغريب.. ظلت
مطبقة على قدمي وتزيد من الضغط، وهي ترمقني بنظرها
الخاوية، وأكملت بعد برهة من الصمت، ضاغطة بأظافرها
في لحم قدمي:

- وراح شده لتحت السرير..

(هل ستجذبني لأسفل الفراش الآن؟)

أفلتت قدمي وهي تُكمل والابتسامة الغريبة تذهب شيئاً
فشيئاً، موجهة نظرها إلى نور الأباجورة:

- الولد لقي نفسه في أوضة مثلية.. النور فيها أحمر..
ثلاث حيطان لونهم أحمر من الدم.

سكنت لبرهة لتتفحص طلاء أظافرها تحت نور الأباجورة
الصغيرة، لتعكس الأباجورة نوراً أحمر على الحائط، وتُكمل هي:

- النور فالأوضة دي كان زي لون الحيطان، وكان مخلي
كل حاجة بلون الدم.. فالأول افكر إن هو لوحده.. لكن
أول ما بص وراه.. قابل النوم..

* * *

كان تفكيري غير صافٍ.. أشعر بأنّي لأزال بالبارحة..
ولا تزال قصة (جوليانا) تردد داخل عقلي.. ولا يزال عقلي
يحاول أن يضع تفسيراً منطقياً لما حدث.. أهدق في السلم
الخشبي.. وأتساءل.. هل لو أن الجنة بأعلى هذا السلم.. هل
معنى هذا أنني لو تسلفته سأجد أمي، لتحضنني وتقبلني،
وتخبرني بإجابات الأسئلة التي تدور بخلدني فتؤرقه؟

حرقّت أنفي رائحة جاز، فنظرت بجانبني لأجد (أدهم)
و(حواء) مبتلين.. و(أدهم) يهدق في السلم وعيناه تلمعان.

- آدم.

قالت (حواء)..

- أدهم هيطلع على السلم

أكملت (حواء)..

لم أنظر إليها، ونظرت إلى (أدهم) قائلاً:

- أدهم، انت مش فاكر أمي قالت لنا إيه؟

نظر (أدهم) إلى (حواء) وكأنه يستمد منها قوة خفية،
ومن ثم ابتسم وقال لي:

- ماتخافش.

هل ينبغي (أدهم) نظرات إعجاب من (حواء) بذلك
الفعل.. أم إنه يريد أن يُنهي تاريخي الطويل في التحديق

لذلك السلم، بأن يُثبت لي بأنه لا يوجد شيء في الأعلى؟

ترددت في عقلي صورة وحش النوم التي رأيتها مجسمة في كلام (جوليانا)، بعدما ربط ذلك الولد من رقبته في العقدة المعلقة بالسقف عند رأس المثلث في الغرفة.. لكن الولد لم يمت.. لقد بدأ الوحش يأكل كل يوم جزءاً منه ليجعله يرى نفسه يؤكل حياً.

تباً.. تباً.. ركّز في اللحظة يا عقلي!

كان أدهم الآن فوق الدرجة الأولى محاولاً إيجاد طريقه للصعود.. اقتربت منه مهرولاً وقلت بقلق:

- أدهم.. بلاش.. هتطلع إزاي أصلاً؟!

لكن ازدياد قلقي زاد إصراره، فقال وهو يتخذ الخطوة الثانية فالثالثة:

- مش انت دايماً بنفسك تطلع وتشوف من فوق الجنة؟

خيم الصمت عليّ.. لم أعرف بماذا أجيب.

كانت هناك درجة منزوعة، ثم نصف درجة، ثم أخرى منزوعة، ثم أخرى سليمة.. كان (أدهم) الآن على ارتفاع السقوط منه قد تكون عواقبه وخيمة.. انكمش (أدهم) على نفسه واستطاع أن يضع إحدى قدميه على نصف الدرجة، ثم قفز وأسلك بالأخرى السليمة التي فوقها، ولكن عندما ومع الحمل على نصف الدرجة؛ انكسرت تماماً.. شهقنا أنا

و(حواء)، ولكن (أدهم) كان قد أمسك بالفعل الدرجة التي فوقها بيده وأكمل بالأخرى، لكن قدمه كانت معلقة في الهواء.

نظر (أدهم) إلى (حواء) فوجدتها تُغطّي وجهها يديها تاركة مساحة صغيرة لنصف عين تنظر بها.. فكان ذلك أعطاء تلك الطاقة الخفية من جديد، فتأرجح بجسده، ومن ثم ثنى قدمه وأدخلها حيث الدرجة التي يمسكها بيده ليحيطها بقدمه ويترك يده، ومن ثم يُعدل من نفسه ويمسك بالدرجة التي فوقها بكتلتا يديه، ويكمل الصعود بسلاسة، دون أن يُحمّل كامل جسده على الدرجات، بعد أن تعلّم من الخطأ السابق.. شعرت أنا و(حواء) بالارتياح عند بداية الصعود السلس لأدهم، ومن ثم اتسعت عيناى تماماً عندما وصل إلى السطح.

- شايف إيه؟

قلتها بصوت عالٍ.. فنظر لي (أدهم) مبتسماً.. لا أعرف إن كانت ابتسامة لما رآه أم هي ابتسامة نجاحه في الوصول.. اختفى (أدهم) فوق السطح تماماً.. وزادت دقات قلبي كما لم ترزد من قبل.. وظلّت عيناى مثبتة على المكان حيث اختفى منذ قليل.. لكن.. كان الصراخ الذي يصمّ الأذان.. ومن ثم ظهر (أدهم) ككتلة مشتعلة بالنيران ليقع من حيث كان وصوله منذ قليل!



لا يوجد أسفل الفراش أي وحوش.. لقد تأكدت مرتين، ومع ذلك لا أستطيع النوم.. أعلم تمامًا أن قصة زوجة أبي المريبة لا ترتبط بالواقع، ومع ذلك لا تفارق عقلي.. وذلك جعلني أفكر في أشياء لم أفكر بها من قبل.. فكيف أفكر من الأصل؟ كيف يعمل عقلي؟ من أين تأتي الأفكار؟ وكيف أنزع فكرة لا تريد أن تذهب بعيداً؟

أمي.. أين أنت لتضميني وتحاويني؟

الكلب على الحائط.. العصفور على الحائط.. يتجه تفكيري إلى (أدهم).. توأمي الذي ينام الآن في المستشفى بين الحياة والموت.. أين ذهبت أمي الآن.. إذا كان (أدهم) استطاع الصعود لأعلى سطح المنزل ولم يجدها.. ولكنه وجد النار.. فأين الجنة إذن؟ ولماذا يذهب (أدهم) إلى النار.. هل لأنه حاول الوصول إلى الجنة عن طريق السلم الخشبي المكسور؟

كنت أبكي.. أمي أين أنت؟

الدم بكل مكان في الغرفة المثلثة.. دم الطفل الذي يأكله وحش النوم ليعيد طلاء الغرفة.. سأؤكد مرة أخرى.. مرة أخرى وحيدة نهائية.. ولن أجد شيئاً.. وسأدع التفكير يذهب بلا رجعة.. وسأأتي النوم.. اعتدلت وتركت الدفء بفراشي.. وشعرت بالصقيع وكان مُنظَّم الحرارة في البيت لا يعمل.. ولكنني عندما نظرت لأسفل الفراش على نور الأباجورة.. لم أجد إلا ظلي!

الأحد

25 أغسطس 18 شوال

1434 --- 2013

19 مسري

يولد الإنسان حرّاً ولكنّه في كل مكان يجرّ سلاسل الاستعباد

لماذا يجب عليّ في كل مرة أن أتذوق فاكهة الشجرة
المحرمة لأعرف أنها لا شيء؟

لعنة ابن آدم.. أم عدم مقاومته واستسلامه التام لتلك
اللعنة؟ أنام كالخفاش.. رأسًا على عقب - هو ليس نومًا
بالمعنى المتعارف عليه.. فالاستلقاء أصبح يعادل النوم في
حالتي - بفراشي، الذي اخترته خصيصًا ذا ارتفاع قصير..
كي أستطيع النظر أسفله.. وأنا بتلك الوضعية.. قدامي على
الحائط.. ورأسي مدلاة؛ لأراقب.. ظهري يؤلمني.. وفقرات
رقبتي تلعنني

501

لا شيء.. أشعر بالعرق يُغلفني.. ثابتًا بمكاني لا أستطيع
الحراك.. كم مرّ من الوقت؟ لا أستطيع أن أعرف.. غالبًا
ساعات.. المكاملة اللعينة صباحًا من (حور) جاءت الساعة
8:25، واليوم هو الخامس والعشرون من أغسطس.. عيد
ميلاد (البياني)، إن لم أثبت بمكاني هكذا اليوم كله لأنأكد

من أن الوحش ليس بأسفل الفراش بعدد دقائق اليوم..
ستخونني (حور).

وأنا لا أستطيع أن أعصي الفكرة لأنني صرت أؤمن
بنارها، الوحش أسفل الفراش يكثر عن أنيابه.

502

لا يوجد وحش أسفل الفراش.

يقولون إن معرفة المشكلة هي نصف الحل.. (الوسواس
القهري)، ها هي المشكلة.. أين هو الحل اللعين إذن؟
عشرات الكتب تراكم فوق مكنتي، تتراوح أسماؤها بين
الحل وعلاقة الوسواس بالدين.. ولكن وسط طياتها لا
توجد إلا التعريفات اللعينة.. وحالات بعض المرضى التي
يتناولونها بطريقة تزيد الطين بلة عندما أقرؤها.

503

لا شيء.. أنا أعرف أنه لا يوجد شيء.

حرفياً لا أستطيع الحراك من مكاني.. حرفياً أعرف أنني
أستطيع التحرك.. أحاول جاهداً أن أوجه تفكيري لترك
هذا الهراء وراء ظهري.. أن أجعل البداية من اليوم.. لكن
لا أستطيع التنفيذ.. ستنهار حياتي إن فعلت.. ستخونني
(حور).. ستظل الفكرة عالققة معي إلى الأبد، تتردد في عقلي
دون أن أستطيع منعها.. لن أنعم بلحظة هنيئة واحدة بعد

ذلك.. لن أفرح مرة أخرى، وسأظل حبيس الفكرة، حكم
المؤبد دون تخفيف العقوبة إن لم أنقذ ما تريده.. معها كان غير
منطقي.

العبد الذي رحل إلى حافة الجنون مع أنه يرى جميع
اللافتات التي تحاول أن تنبيهه

العبد الذي ظن أن كل فكرة تمر على عقله هي (كن
فيكون)

أظن أنني فقدت المنطق منذ زمن.. ولسخرية القدر..
كانت الطقوس غير المنطقية في بداية المرض.. هي محاولة
مني وخوف من فقدان المنطق.. ومن ثم أصبحت حياتي
سلسلة من الأفكار التسلطية والأفعال القهرية.

504

...

أشعر أنني فقدت بعض الوقت.. هل نمت؟ نقلاً عن
نافذة غرفتي أرى الظلام قد حل.. لا أستطيع النظر مرة
أخرى لماتني أو فتحه اليوم بأكمله.. هذا جزء من الصفة..
الفعل القهري يجب أن يكون منفذاً بدقة الفكرة التسلطية
وإلا انهيار كل شيء.. هناك بعض الأيام التي تتزايد بها
الوسواس لحد الثبات بمكاني، مثل اليوم.. وأحياناً أخرى
تكون أخف.. لكنها لا تختفي.. أحياناً أصاب بالتوتر من

لا شيء.. فقط الظلام.. صوت الأثاث يتحرك في الخارج.. تَبًّا للأشباح التي أصابها الأرق، نظرت إلى الكتب المتراكمة مرة أخرى.. وتذكّرت تلك الحالة، حيث كان صاحبها بائع السيارات ذي الستة والأربعين عامًا.. يجلس مستيقظًا في فراشه كل ليلة.. حتى ما إذا سمع صوت سيارة مسرعة خرج ليبحث عن آثار (الكاوتش) على الأسفلت، فإن وجده فعليه أن ينظّفه وإلا أصابته كارثة في عمله.

أنظر إلى ما يفعله بنظرة عدم تصديق.. أن يوجد شخص عاقل يفعل هذا.. لكنني أستطيع أن أفهم كيف يشعر بسبب ما أمر به.. لن أفعل ما يفعله.. لكن على الأرجح هو لن يفعل ما أفعله أنا أيضًا.. وربما لو نظر لحياي لقال نفس الشيء.

لا شيء.. ولا شيء أيضًا في اللوحة البيضاء المعلقة فوق فراشي.. أحب الرسم كثيرًا.. لكنني لا أستطيع أن أمارسه.. أستشعر كارثة قادمة إن لمست قلمًا أو فرشاة.. ولذلك وبعد شرائي تلك اللوحة.. علقتها كما هي.

العبد الذي اتخذ من القلق دينًا فتحول الخوف إلى صلاة

بلغ ريقني وتنفّسي وبربشة عيني، وأخاف أن أظّل أعدّ الأشياء السابق ذكرها إلى الأبد، وطيرتي عندما أفكر مثلاً ببربشة عيني لا أفكر عندها بتنفّسي.. حتى لو كنت أفكر فيه منذ قليل.. وكان بيء لي أن عدّي له لن يتوقف أبدًا.. فإن فكّرت بتلك الطريقة.. تركت العدّ إلى بربشة عيني وعدت لتنفّسي.. مع أني كنت أظن أن عدّي لبربشة عيني لن يتوقف أبدًا.. وهكذا..

لا شيء.. هل تفهم طريقة تفكيري؟ وكيف يعمل عقلي؟ لا أظن.. أنا لا أفهم.. فكيف ستفهم أنت.. ربما تستطيع الشعور بي إن كنت في نفس مشكلتي.. أو ربما تتعني بالاحمق المجنون الآن.

لقد فكّرت جدّيًا في الانتحار وإنهاء عذابي.. لكن كل ما انتهيت له هو التحديق بذلك السكين لا أكثر.. فكّرت جدّيًا في الذهاب للطبيب النفسي.. لكنني لا أؤمن بهم.. أنا أعرف مشكلتي ولا أستطيع مساعدة نفسي.. كيف سيساعدني هو إذن! إن وصف المنطق سهل.. لكن كيف سأصف لأي إنسان اللانطق الذي يُغرق عقلي وحياتي.. كيف سأحمّل نظرتي لي؟

...

1429

العبد الذي منحه الله الاختيار وحرية الإرادة فأهملها
فُسلبا منه

1430

العبد الذي يطارد السراب.. ولديه علم مسبق

1431

العبد الذي ترجم العلامات في حياته بطريقة خاطئة
وصار لا يرى نهاية النفق.. ولا بدايته

1432

العبد الذي ليرر انعكاس الأشياء في المرأة ففقد إيمانه
بالأشياء.. وصار يؤمن بالمرأة

1433

العبد الذي يحمل الصخرة صاعداً التل مع أنه ليس
سيزيف

1434

لا شيء.. لن أبالغ إن قلت لك إنه لا توجد ولو فكرة تمر
على عقلي دون المرور من تحت المجهر.. ويا للعذاب الذي
ينتظرني عندما تمر فكرة خاطئة.. ولعذابي أصبح عقلي لا
تمر به فكرة صحيحة.. أصبحت أفكر يومياً في كيفية تفادي

الأفكار، وإني لأرى المجحيم عينه إن فكرت أن أتقدم خطوة
للأمام ناحية أحلامي.

1435

لا شيء.. ودائماً ما أعد نفسي بأن الغد سيحمل البداية..
دائماً في حالة الرحيل.. لكنني لا أرحل.. فقط أظل أحلم
بذلك الإحساس.. أن أكون حراً.. بلا أي أفكار تسلطية ولا
أفعال قهرية.. بلا أي أفكار خرافية.. بلا قلق أو خوف..
حراً.. لا أعرف متى سيأتي هذا اليوم ولا كيف.. فأحياناً
تكون كل الأشياء مثالية، وبمجرد أن أقرر أن اليوم سيكون
بداية كل شيء.. سأتوقف عن تلك الأفكار الاقتحامية
وسأقتل ذاكرتي الانتقائية، وعندما أفكر هكذا.. يصبح كل
شيء من حولي مدمراً لحياتي بطريقة ما.. أنا لا أعرف كيف
أستقبل الغد.. ولا أعرف قبلي.. أو ما هو المستقبل علي.. كل
ما أتمناه هو الولادة من جديد من رحم الدنيا.. أن أبعث دون
حمل ثقيل.. بلا ماضي.. أن أعيش يومي وأكون في اللحظة..
أن ألتص صفاً عقلي.. أن أجد راحة البال.. وأحقق السلام
مع نفسي ومع الكون.. أن أكون هذا الشخص المثالي الذي
يحببه الجميع.. الذي يعرف ماذا يقول ومتى، يعرف ما الذي
يجب أن يفعله وكيف.

1436

العبد الذي يبحث عقله لا إرادياً عن الفكرة التالية التي
ستجعل الحياة أكثر صعوبة

1437

لا شيء

1438

الفكرة لقمة عالقة في الحلق.. الفكرة تجعلني أنلوى..
الفكرة تجعلني أختنق

1439

الفكرة كرة جليد تندرج فتكبر

1440

العبد الذي يزن الأفكار الحجرية بميزان الذهب!

الإثنين

26 أغسطس 19 شوال

1434 --- 2013

20 مسري

من يؤمله فمه يجيد العسل مرًا

لطالما آمنت أن الباعة الجائلين يتكلمون اللاتينية

(بكلياياا)

اسمع علي هذا الولد

علاجه عند شيخ البلد

(ايكيسيسيا)

شيخ حكيم ومتقي

يقرأ عليه سورة الفلق

حاولت أن أفتح عيني فشعرت وكأنني أرفع الأثقال
والوزن يأخذني لأسفل.. فناديت عليهم ليساعدوني،
فامتدت الأيدي لتجعل الوزن خفيفاً، ولأسمع (عاش يا
وحش)

(بيكياااااااا)

قول له يا شيخ سيد الشباب

يقول أمان أمان أمان

اتداويلنا ها الولد

(البيبي)

من الجن ومن كل الحسد

أخرست الأغنية العينية بالإجابة على هاتفي النقال..
وتمنيت أن أخرس البائع الجوال.. حاولت أن أقرأ الوقت
من ذلك المنبه الصغير على الكمودينو بجانب الفراش، لكنّ
عيني شبه المغلقة لم تساعدني.

جاء صوت (ياسين) عبر الأثير:

- تحب فطارك في السرير؟

كنت مرتدياً ملابس.. مشيت كالمتوئي الأحياء وأعطيت
باب الحمام (كتفّاً قانونياً) كاد أن يوقعني أرضاً.. ومن ثم
نظرت إلى مصاص الدماء الذي لم يتغذّ منذ شهور في المرأة،
وتركت الماء ينساب على رأسي لتتضح صورتي أكثر بعد أن
فتحت عيني.

(آدم المهدي)، أربعة وعشرون عاماً في رحم الدنيا
ولازلت أبحث عن الولادة.. سأتم الخامسة والعشرين في
الرابع من سبتمبر القادم.. عيني الخضراء وبياض بشرتي
الواضح وعلامة الحسن في وجهي.. تجعل مني وسياً.. لا
أعرف كيف يُقيّم الإنسان الناس؛ هذا وسيم وهذا قبيح..

لكن سنين عمري جعلتني أعلم أن هناك العديد من البشر
- وعلى عكس ادعائهم - يهتمون بالصورة ولا يهتمون ماذا
تُخفي.. وفيّ ككلب (تان تان).. عقلي يُدمّر آمالي كقارئة
فنتجان عبد الحليم.. أكذب أحياناً حتى لا أعترف بمرضي..
أجيد العربية والإنجليزية ولغة العيون!

هل الوسواس القهري هو سبب هذه الشعيرات البيضاء
الذي تزيد يومياً بشعري الأسود؟

هل هو السبب في هذا السواد الذي يحتلّ أسفل عينيّ
ويرفع الأعلام؟

يبدو أنني جرحت نفسي.. نظرت إلى الدماء المتجلطة
بأظفاري القصيرة المهذّبة.. وبدأت أغسل يدي وأنا أنظر
إلى رقبتي.. لكنّي لم أجِد أي آثار خربشة لربما قد أحدثتها
بأظفاري أثناء نومي.. الأكر.. تصلّب خفيف في رقبتي من
ناحية اليمين.. حسناً، كنت أنتظر هذا وأستغرب أنه لم
يحدث منذ مدّة.

عليّ أن أتحرّك الآن فقد جعلت (ياسين) ينتظر كثيراً..
فتحت باب المنزل ليقع ذلك الشيء الذي كان مسنوداً على
الباب بطريقة مائلة.. نجعله يقع بداخل البيت ما إن أفتح..
انحنيت والتقطت دفترًا أسود اللون.. صفحاته مجمّعة معاً
بخياطة بيضاء على الجانب.. مكتوب عليه بحروف تبدو
مرعبة بعض الشيء بنفس الخياطة البيضاء البارزة المجمّعة

لصفحاته (اللوحة المحفوظ)، نظرت يمينًا ويسارًا فلم أجد إلا ذلك القط ينظر لي بلا مبالاة ويهرش بأظفاره خلف أذنه.. وضعت ذلك الدفتر جانبًا على المقعد المقابل للباب، وتحركت مسرعًا.

فتحت باب (السكودا فيلشيا) سيارة ياسين وجلست بالمقعد الأمامي.. وكما الحال معنا لم نسلّم على بعضنا، فأنا و(ياسين) و(الياني) و(متنصر) معًا دائمًا، لذلك لا رسميات بيننا. انطلق هو إلى حيث مقر عملي القريب من عمله، وقال بعد برهة من الصمت:

-إمبارح؟

كنت أنتظر السؤال ولكني لم أكن قد جهّزت إجابة منطقية.

-حسيت إنني تعبان فما قدرتش أنزل.. طول اليوم نايم.

(الوسواس القهري) اللعين دائمًا ما يضعني في تلك المواقف.

-سلامتك.. بقيت أحسن؟

(لا)، قلته بداخلي.

-بكثير.

-إمبارح رحت للياني.. كلمتك كثير عشان تيجي معايا.

شعرت بالغضب من نفسي.. لأنه عندما أتت سيرة

صديقي شعرت بالغضب.. وشعرت أن مخاوفي ستتحقق بصورة ما عندما تمّ ذكر اسمه.. وكأني أحمله وزر أفكاره أن تكون صحيحة.. أدت رقبتي تجاه الشارع شاعرًا ببعض الأكرهها.. محاولاً أن أداري تعابير وجهي.. وتركت نفسي مع سحر النظر من نافذة السيارة.

-أكيد ماسمعتوش.. الثلاث حبات كونجستال خلوني مش حاسس بنفسي.

أخذ أنفاسي بصعوبة.. وأشعر مع كل نفس بالمر غريب.. لكنني لأزال أحاول الحفاظ على قناع الشخص العاقل.

-عمرلك حسيت إن فيه حاجة غلط؟ حاجة ناقصة؟

استغربت من السؤال، فنظرت له ليوّضح أكثر ولتلعنتي رقبتي.

-عايز تعمل حاجة عشان الإحساس ده يروح؟ وتعمل كل حاجة في يومك عشان تهرب من نفسك؟ لإنك لو واجهتها هنلاقي إنك مش عايز تعمل أي حاجة من اللي بتعملها فحياتك دلوقتي..

حاولت أن أرد ردًا منطقيًا مأخوذًا من سياق كلامه، فقلت:

-يمكن من كتر الهروب.. مش مدي لنفسي الفرصة أحس الإحساس ده.

كاذب.. أعلم أنني كاذب بتلك الإجابة.

- بالليل لما اتجمعنا في القصر.. منتصر كان معاه واحد صاحبه.. مايتكلمش كثير.. بس لما بقينا لوحدها.. سألني السؤال ده.

(القصر) هو كافيه بكليوبترا نتجمع به.

- وانت قلت إيه؟

- قتلته إني حسيت بكده.. بس إيه المفروض يتعمل عشان إحساس زي ده يضع.. رده كان غريب.

سكت (ياسين) لبرهة وكأنه يعيش لحظة البارحة مرة أخرى.

- قالي الفراغ بياكل كل شيء.

ومن ثم أسرع بالسيارة قليلاً، وأكمل:

- بعدها سرح مع نفسه لما قتلته يعني إيه، وقالي..

تفادئ إحدى السيارات البطيئة أمامنا وأكمل:

- الدنيا هي المكان اللي بين الجنة والنار.. اللي شاف الجنة.. عمر حاجة من الدنيا هترضيه.. واللي شاف النار.. أي حاجة هترضيه.

تفادئ سيارة أخرى بهتور، وانتظرته أن يكمل بعد أن نجح في اصطیاد فضولي:

- شخصية غريبة جداً.. سألت منتصر عليه وإحنا مروحين.. قلتي إنه اتعرف عليه أيام الكلية.. وإنيهم بيقولوا عليه كلام غريب.

صمت (ياسين) قليلاً، فسألت:

- زي إيه مثلاً؟

- إن والده من الجن اللي اتجوزوا البشر، وإن هو مش بشري بصورة كاملة.

ابتسمت وقلت له:

- فعلاً.. ماكنتش فأكرك بتصدق في الكلام ده.

قال (ياسين) بصدق:

- مابصدقش.. بش شخصيته الغريبة وطريقة كلامه.. حاسس إن وراه حاجة مش فاهمها.

قاطعنا هاتف (ياسين) النقال فأجاب:

- أم ولادي.

ابتسمت وأخرجت هاتف النقال لأنظر إلى ما حدث بالبارحة.. مستغلاً انشغال (ياسين) مع خطيبته (سلسيل) لأن الكلام بينها من الممكن أن يطول.. لأجد عددًا من الرسائل التي تخمت أنها من (حور) من قبل أن أفتحها:

(أنا ميتة من القلق ومانمتش)

(كَلَّمَنِي أَوَّلَ مَا تَشُوفُ كَلَامِي)

(يَا آدَمَ أَنْتَ زَعْلَانُ مِنِّي طَيِّبٌ؟)

ازداد غضبي من نفسي وشعرت أني لا أستحق حب
(حور)، ورددت مستغلاً أن الغد عيد ميلادها:

(بجهزلك لبكره.. عابز حبيبي يعيش يوم مايتنسيش)

* * *

(ترافلينج بيرد)

بعد تخرجي من كلية السياحة.. واختياري للإسكندرية
كمكان للعيش.. بعيداً عن أي أقارب من ناحية أمي أو
أبي.. كانت هذه هي الوظيفة المتاحة على أية حال.. أقضي
الساعات الثمانية ما بين (سوليتير) و(فيس بوك) والكلام مع
(هايدي) و(منتصر) ورحلات الحج والعمرة.. والعروض
للرحلات الأخرى التي لا تحلب أحداً.. مكتب سياحة
وسط العديد من المكاتب بالمنشية.. كان رب العمل لا يأتي
إلا فينا ندر، وكان يترك الحِمل على (منتصر) لأنه قريبه،
وبعدما عرفنا (ياسين) على بعضنا.. ولأنها صديقاً طفولة..
أتاح لي هذا العمل، ومن ثم صرنا أصدقاء.

(زعلان منك.. والله زعلان عشان أنا مت من القلق)

أشعر أن الوسواس اللعين سيكون سبب فراقنا يوماً..
وهنا ظهر (الياني).. وأنا أقرأ رسالة (حور) فاحترق عقلي،

وكان ما حدث للتو هو تأكيد لفكرة البارحة.. مع أني أعلم
أنه هراء.

- لازم أعمل عليك كبسة عشان أشوفك؟

القلق بداخلي يزداد مع ظهور أفكار البارحة على السطح
ولا أستطيع أن أمنعه.

- عارف إنك زعلان مني.. إمبارح كنت تعبان فعلاً.. أنا
ماجش الشغل حتى.. ياسين أكيد قالك.

وتجّه (الياني) الكلام لهايدي قائلاً:

- فعلاً الكلام؟ ماجاش الشغل إمبارح؟

لر ترد عليه (هايدي) بسبب تركيزها بجهاز الحاسب،
لكن أفكار البارحة تتكرر داخل عقلي بلا توقف.. فقال
(الياني) وهو ينظر خارجاً مغيراً الموضوع:

- أنا حظي اليوم بيقولي إني هقابل فتاة أحلامي.

ومن ثم نظر إلى (هايدي) نظرة خاطفة وأكمل:

- ما عندكش فكرة هقابلها فين؟

قلت همساً محاولاً أن أداعبه لينسى البارحة:

- يمكن لما تنام؟

قال مبتسماً وهو يرفع كلتا يديه ليعدّل من شعره الطويل

نسيبًا بحركة هي عادة لديه، فلاحظت جرحًا غائرًا في يده اليسرى:

- انت حفظك اليوم يقول إنك هتلاقي كابوس أحلامك!

* * *

سأهرب اليوم من الذهاب للقصر لأختلي بنفسي.

- اتفضل اشرب شاي يا دكتور.

أشرت له بيدي أن شكرًا.. وقلت في نفسي.. حقًا.. بعد ست سنوات بتلك البناية يظن هذا البواب أنني دكتور.. كنت مرهقًا للغاية.. أريد الهروب من نفسي.. وأجد ذلك بالنوم أحيانًا.. لكنني أعلم أنني لن أستطيع النوم.. غدا سأرئ (حور).. وحب (حور) مصحوبًا بمفعول أكبر من (الإسبريسو الدوبل بيرازيليو).. أغلقت الباب.. وسمعت الأصوات قادمة من الغرفة الملعونة.. استعذت بالله من الشيطان.. وذهبت إلى غرفتي.. أعلم أنني لو اقتربت من تلك الغرفة الملعونة وفتحتها سيموت أحد أصدقائي.. أعلم أن هذا هراء.. لكن منذ اليوم الذي ظننت فيه أنها أصابها التلوث لرافحتها، وصارت بالنسبة لي غرفة فارغة مغلقة.. لا أقرب منها.. أحيانًا أظن أنني أسمع بها أصواتًا، لكنني أعلم أن هذه تهيؤات لا أكثر.. مثل تلك المرة التي ظننت بها أنني رأيت عينًا مشقوقة تنظر لي من أسفل الفراش.

الثلاثاء

27 أغسطس 20 شوال

1434---2013

21 مسري

عذاب النفس أثقل من آلام الجسد

انقلب القطار رأساً على عقب.. وانطلق صراخ (حور)
بجانبني وباقي الركاب.. المناظر تتداخل بسرعة لدرجة أنك
لا تستطيع تحديد منظر معين.. ولكن يدي كانت دائماً ما
تعرف الطريق إلى يد حور.. فوجدتها وتعلقتُ بها لأبقيها
الأمان.. ولتبني الأمان دون أن تشعر.. كنت أضحك.. ولا
أريد للحظة أن تنتهي.. (حور) هي علاجي الذي لم أقرأ عنه
بجميع الكتب المتراكمة على مكتبي.. وهي التهديد الذي
يستخدمه شيطاني ضدي.. استعاد القطار وضعه الأصلي
وخفت صوت احتكاك القضبان مع صيحات الفرحه بكل
مكان.

- آيس كريم!

قالتها (حور) ببهجة.

- فراولة!

أكدت ما ذكرته.. ذاكراً نكهتها المفضلة.. كانت يدي لا تزال
متعلقة بيدها حتى في لحظة نزولنا من القطار واقتحامنا للحشود
بدريم بارك.

كانت تتأخر عني بخطوة.. فنظرت لها.. كانت سعيدة..
وكنت (أنا).. كنت أشعر وكأنني ملكت هذا الكون.. (حور)
صوتها هو الآلة الموسيقية التي لم يكتشفها أحد بعد.. رنين
كلامها هو لحن تسمعه لأول مرة فيعلق بقلبك ويطر به
ويجعله يرقص رقصات تعلمها للتو فقط بسماع الكلمة..
كلامها نفسه هو كلام شاعر تجد بكل قصيدة من قصائد
إبداعاً جديداً، للدرجة التي ستجعلك تقول إنك لن تقرأ
قصيدة أبجل.. هذا فقط حتى تسمعها تتكلم مرة أخرى..
عينها بداخلها السكن.. وعالم تريد أن تسافر عبر حدوده
وتكتشف أعماقه وأسراره.. وإن أطلت النظر ستعرف ماهية
الجنة.

قلت مشاعباً إياها:

- حور، بحبك حب الذباب!

- إيه ده؟ يعني إيه؟

- يعني لو هشتيني هرجعلك كمان ثانيتين ناسي.

قالت مشاعبة إياي:

- آدم، بحبك حب الناموس!

- إيه ده؟ يعني إيه؟

- يعني لو هشتني هرجعلك كمان ثانيتين أمصّ دمك!

ضحكت من قلبي وتركت نفسي بداخل اللحظة.. فكرت

كثيراً في السابق بتلك اللحظات التي تشعر أنك تريدها أن
تستمر.. فتجعلك تتكلم بكلام لم يكن بالحسبان أن تقوله،
أن أصرّحها وأن أذكر لها وسواسي القهري الغريب لأرى
ردة فعلها.. لكنني كنت أراجع في اللحظة الأخيرة قائلاً: هل
ستقبل ما لا أقبله في نفسي؟ لا أظن.. كنت فقط أصبر نفسي
بفكرة أنني أراي في الغد شخصاً أفضل.. أكثر مثالية.. متخلياً
عن هذا الحمل الثقيل.

- أنا مش طماع يا حور.. كل اللي عايزه نظرة.

نظرت لي عابسة بوجهها بطريقة مضحكة:

- أهو!

ضحكت ومشيتا بخطوات بطيئة تجاه بائع الآيس كريم.

- لأ مش قصدي النظرة دي.. ومش قصدي دلوقتي..

أنا بحلم بنظرة.

قالت وهي مبتسمة برقة تضع تعريفاً لمعنى الدلال:

- لما بتبدأ الكلام بطريقة مش فاهماها يبقى عارفة إنك

هتقول كلام حلو.. قول.. قول!

كنت أريد أن أخبئها في حضني من العالم بتلك اللحظة
وأنا أقول:

- أول عيد ميلاد لبنتنا.. ملاسنيها كأنها عروسة..

وساندينها عشان تقف على الكرسي عشان تطول التورotte..

الكاميرا قدامنا بتعد تنازلي عشان تلقط الصورة.. أنا وانتي كل واحد من ناحية وإحنا ساندينها.. بنبوس خدها.. هي هتبقى وسطنا عمالة تبصلك شوية وتبصلي شوية.. وأنا وانتي هتبقى باصين لبعض.. نظرة.. إحنا بس اللي فاهمينها.. وبعدها يجيب فلاش الكاميرا.

كانت (حور) تنظر لي الآن، وعندما نظرت لها.. زاغت عينها من الحجل وقالت:

- أنا بحبك يا آدم.

قلت وأنا أضغط على يدها:

- مش زي ما أنا بحبك.

دام الصمت لثوان أو لدقائق.. فقوانين الفيزياء لا تنطبق على مثل هذه اللحظات.

فقلت لها بعد الصمت الجميل:

- آيس كريم؟

فقلت مؤكدة ما ذكرته:

- فراولة.

تركت (حور) لدقيقتين، وبعد شراء الآيس كريم عدت أدراجي حيث كانت تنتظري.. لأجدها تقف مع هذا الفتى.. كانت عابسة.. وعندما رأي من بعيد أشار لي بيده

بشيء عكس ضوء الشمس، ومن ثم أعطى هذا الشيء لحور وتحرك ناحية رحلة مدرسية.. لم أستوضح معارف الفتى، لكن يبدو أني لا أعرفه.. ولم أستوضح معارف الشيء الذي أعطاه لحور أيضًا.. هل هو أحد أقاربها؟ أسرعت الخطى، وعندما وصلت.. امتدت يد (حور) كي تتاولني ما استوضحت معلمه الآن، قائلة:

- إيه حكاية الولاة دي؟

تراجعت خطوتين وأنا أنظر إلى القداحة بيد (حور) مرعوبًا.. هل كان هذا (أدم)؟ مستحيل! نظرت إلى حيث اتجه ولكن كانت الناحية التي تحرك بها.. فيها زحام شديد بسبب رحلة مدرسية.

- آدم.. فيه إيه؟

كنت أرتعد بداخلي.. لكن علي أن أحافظ على قناع العاقل الآن أكثر من أي وقت مضى.. إنها (حور) التي أمامي.. أنا لا أريد فقداها.

- خيلها معاك.

لر أكن أستطيع لمس هذه القداحة، فهي كتلك الغرفة المغلقة.

- هو قالك إيه بالظبط؟

تراجعت يد (حور) الممتدة لي بالقداحة، وقالت باستغراب:

- ما قالش غير آدم هيفرح قوي لو ادتيه دي، ولما قلته دي؟
إيه دي؟ قالي كل سنة وانتي طيبة، وشاورلك بالولاعة
وادها لي ومشي.. مين ده؟

نظرت مرة أخرى إلى حيث الرحلة المدرسية متسائلاً
نفس سؤال (حور).

- ليه حساك مش فرحان زي ما قال.. يعني إيه أنا مجرد
سبب.. أنا رفرفة الفراشة؟

عاد نظري إلى (حور) لأجدها تتأمل ما هو مكتوب على
القذاحة.. ولم أرد ببساطة لأنني لا أعرف الإجابة.. لكنني
كنت أعرف أن اليوم قد انتهى الآن وعلي أن أعود أدرجي..
حيث غرفتي.. حيث سيُعَذِّبني عقلي لساعات طويلة.

* * *

ما زاد الطين بلة هو تصلب رقبتي.. الذي كان في
نفس الوقت حاجتي لإنهاء اليوم.. لكن كان ثمن هذا أن
ذهبت معي (حور) لعيادة طبيب تعرفه.. صفقت عربية
(ياسين) التي استعرتها منه لتقضية اليوم.. وجلسنا ننتظر
في الاستقبال بشقة بمحرم بك.. كانت بها عيادتان.. قالت
(حور) في تجهيم بعد رحلة من الصمت:

- انت خبي عني إيه يا آدم؟

لم أكن أريد شيئاً في هذه الدنيا أكثر من أن أقول لها كَلْ

فكرة ترد لعقلي.. لكن عند الصمت الذي طالته مدته يرسم
الأخر سيناريوهات عديدة لأشياء كبيرة.. وإن قلتُ لها
فستفهم أن ما يشغلني هو بالأصل أشياء تافهة.. أشياء لا
أعرف لماذا تشغلني.. لكنني لا أستطيع تركها.. ولا أستطيع
أن أخذها بجذبة لعلمي أنها تافهة.. لكنني لن أخاطر بأن
أقول لحور ولا تفهم.. لن أخاطر بأن أقول لها ومن ثم تبدأ
برعاياتي.. وبعدها تأخذ ما قلته ضدي بعد حين.. عندما
تعيد التفكير..

- ليه بتقولي كده؟

- عشان أنا عارفك يا آدم، وعارفة إن دي الحقيقة.

برهة أخرى من الصمت، ومن ثم:

- ليه مش عايز تقولي مين صاحبك ده.. وليه مش عايز
تأخذ الولاة القديمة دي.. وليه مرة واحدة حكاية رقبتيك
دي ظهرت بعد ما الموقف ده حصل؟!

- آدم المهدي، دور حضرتك، اتفضل.

تذكرة النجاة جاءت من هذه الممرضة.. ففقت أنا و(حور)
متجهين إلى الداخل، وفكرت في أن أخبرها برة سريعاً لكي لا
تفتح الموضوع مرة أخرى فيا بعد.. على الأقل اليوم.. فقلت
وأنا أنظر ناحيتها، وأشعر بالرغبتي الذي جعلني أعيد الالتفات
لأقرأ تلك اللوحة لعيادة الطبيب الآخر:

(د. حواء الإبراهيمي - أخصائي الطب النفسي -
بكالوريوس (جامعة إيست لندن))

..دول مجموعة من صحابي كانوا في دريم بارك النهارده..
وكانوا عايزين بس يهزرو معايا شوية.. عشان أنا عندي
فوبيا من الولاكات.. عشان كده قتللك خليفها معاكي.

حسنًا.. أحيانًا جزء صغير من حقيقة مخفية مع بعض
الكذب قد يُعدّلان من الموقف.

شعرتُ أن (حور) اقتنعت جزئيًا.. وبرغم خروج عقلي التام
عن اللحظة وعن الطبيب، الذي أمال رقبتي لليمين واليسار،
وقال بعض الكلام محاولاً الاستلطاف.. ونصحني بأن أهتم
(بحور) وأضعها في عيني، وبرغم أنني لم أتوقف لحظة واحدة عن
التفكير فيما حدث بدريم بارك.. وعن لوحة العيادة المجاورة
التي رأيتها للتو، كنت أريد فقط لكل شيء أن ينتهي لكي أكون
بغرفتي أفكر.. رغم أنني أعلم أن التفكير بطريقة صافية هو
أبعد ما يكون عني.. رغم كل هذا كان أزيز علامة الاستفهام
التالفة بشوارع عقلي يُضيء ويُطفئ.. هل هي (حواء) حقًا..
أم هي مجرد مصادفة؟! *

غرفتي العزيزة.. وعزيتي اللعينة.. لـ أذهب إلى (القصر)
اليوم أيضًا.. لكن على الأقل سيثبّتهم أصدقاؤني بسبب غيابي،
كان من المفترض أن يكون السيناريو لليوم مختلفًا كليًا..

حسبما رأيت بخيالي.. كان الصباح يحضن القبة السماوية
بالإسكندرية.. عرض النجوم يبدأ في الحادية عشرة صباحًا..
لقد حجزت منذ فترة، العرض.. الذي حضرته مسبقًا أكثر
من مرة ووعدت نفسي أنني يومًا ما سأعود بالفتاة التي أحبها
لترآه.. ولحظي (حور) تُحب النجوم كثيرًا.. بمنتصف
العرض سأنظر لها لأرى هذه النظرة بعينيها وهي تُحدّق في
النجوم، ومن ثم وبعد خروجنا كنت سأهديها هدية عيد
ميلادها التي طلبتها من (أمازون) وكلفتني مرتب شهرين..
وعندما تفتحها.. ولأن عيني تتغذى على نظرات الفرح
من (حور).. كنت سأرى نظرة أخرى وهي تُحدّق بذلك
التسكوب الرائع.. كنا سنقضي اليوم بدريم بارك.. وبعد
عودتنا للإسكندرية ليلاً.. كنا سنستخدمه لأول مرة معًا
من فوق بنايتها ذات الأربعة عشر طابقًا بالإبراهيمية.. ومن
ثم كنت سأفاتها بأني أريد مقابلة أهلها لنعلن خطوبتنا..
كان اليوم مثاليًا في خيالي.. ولكنني دمرت كل شيء.. أولاً
بتأخري صباحًا بسبب انحشاري في سلسلة من الأفعال
القهرية والنظر أسفل الفراش.. ومن ثم ظهور تلك القذاحة
من الماضي.. كنت نائمًا كالحفّاش على فراشي كعادتي.. لكن
تصلّب رقبتي كان قد تخطى مرحلة اللعن إلى مرحلة التهديد
بقتلي.. دفعت الحائط بقدمي.. لأنقلب واضعًا قدمي على
الأرض.. ولتحرقني رقبتي، فألعنها أنا تلك المرة دون
حق.. كنت ذاهبًا لأهدي من روعها قليلًا بدهن بعض ذلك
(الجيل كريم) الذي كتبه لي الطبيب.. حيث تركته على المقعد

المقابل لباب الشقة.. نظرت نظرة لإرادية للغرفة المغلقة وأنا بطريقي للخارج، فشعرت أن هناك أنيناً يأتي من الداخل.. مددت يدي والتقطت الكيس الذي به الجليل، لكن هنا وقعت عيني على الدفتر الذي كنت قد وجدته البارحة أمام باب شقتي ونسيت أمره تماماً. التقطته وقلبته بين يدي يميناً ويساراً.. كان يبدو جميلاً ومرعباً بنفس الوقت.. كان سواده غريباً وكأنه العدم.. وكان بياض الخيوط المكتوب بها (اللوح المحفوظ) كالنور الأبيض آخر النفق.. وضعته على المكتب بغرفي وظلّت عيني عليه.. وأنا أستخدم الجليل وأدعك مكان التصلّب برقبتي.. ومن ثم ففزت على الفراش متخذاً وضع الخفّاش إياه، وفتحته..

كانت صفحاته من الداخل بعضها أسود وبعضها أبيض.. ولريكن مكتوباً ولو حرف.. حتى وقعت عيني على الجانب الآخر من الغلاف..

أنا الصفحات التي تحقّق لك ما تخافه
(فهل لديك الجرأة لتعرف؟)

اجرح نفسك فوق القلب!

ومن ثم صورة مرسومة لميزان.. على أحد الكفتين ريشة والأخرى قلب بشري.

ما هذا الهراء؟ تركته جانباً محاولاً التفكير في كيف أتاني.. ومن وضعه أمام باب شقتي بهذه الطريقة.. ربما كان أحد

أصدقائي يمزح معي.. ولكن حدث ما أخافه.. يلعب معي الوسواس تلك اللعبة كثيراً.. عند اتخاذي قراراً ما نابحاً من إرادتي في شيء يحدث.. فإنه يهدّدي، وكأنني باتخاذي هذا القرار.. سيكون القرار التالي هو تركه، ولذلك يبدأ بتبني الفكر الذي عكس قراري حتى أنفذه.. أحياناً كثيرة يغلبني.. وأحياناً تُعدّ على أصابع اليد الواحدة لا أنفذه.. نظرت لذلك الدفتر الساكن بجانبي ولعنت الوسواس.. وقررت أني سأترك نفسي للنوم.

الوحش أسفل الفراش يمدّ يده.. أخذ أنفاسي بصعوبة لمقاومتي فكرة النظر.. ومن ثم أنظر ولا أجد شيئاً.

وساوسي اللعينة دوماً ما تجذّ الفكر التي تساعدنا وتدفعني من فوق الحافة بتذكيري بأشياء وهمية.

الجرح على اليد اليسرى لليمانى

الأفكار الخرافية.. الربط اللعين.. عاد لورقته الرابعة.. (حور) والربط بالخيانة.. شعرت بالقلق مزوجاً بالخوف.. الأكر من مقاومة الفكرة.. الأكر يزداد والمقاومة تضعف.. أحاول أن أنام.. يحاربني بالصور.. بأصوات وهمية.. الفزع..

وهكذا وللمرة الثانية دفعت الحائط لأستقرّ على قلمي.. وكنت بطريقي للخارج لأجلب ذلك السكين من المطبخ.. محاولاً أن أقول لنفسي.. ما أسوأ شيء قد يحدث؟ على

الأرجح لن يحدث شيء.. ما هذه إلا مزحة سخيفة.

لم أستطع أن أجرح نفسي حيث رأيت جرح (اليمني)..
فجرح نفسي جرحاً صغيراً بجانب المكان الذي رأيت فيه
جرحه.. وتركت الدماء تنساب فوق القلب على الميزان..
كان الجرح صغيراً، ومع تساقط قطرات الدم على القلب
شعرت أنها تختفي بطريقة ما عندما تُلامسه.. ولم أستطيع
التفرقة؛ هل يُبَيِّأُ لي أم إن هذه الصورة تمتص القطرات حقاً!
نظرت إلى الصفحة الأولى.. منتظراً حدوث أي شيء..
لكن لا نتيجة.. ظلمت منتظراً وأنا أقلب صفحاته السوداء
والبيضاء.. لكن لا شيء.. رميته بعيداً.. وأنا أقفز على فراشي
كالخفاش.. لاعتنا نفسي ووسواسي ورقبتي.

الأربعاء

28 أغسطس 21 شوال

1434 --- 2013

22 مسري

يتعب الإنسان أكثر ما يتعب وهو واقف في مكانه

التراب يتساقط عليّ في الحفرة الصغيرة.. الظلام حولي
بكل مكان، والنور بالأعلى.. كلما حاولت النظر.. يتساقط
التراب.. وعندما توقّف للحظة.. رأيت صورتي تنظر لي،
ومن ثم أكملت الردم..

أنا طفل صغير يقذف الأحجار بقدمه إلى حيث الحفرة
السوداء فيختفي الحجر.. يليه الحجر.. بلا رجعة.. أنا أقذف
الأفكار إلى حيث العدم ولكنها لا تتحرك.. وتكبر وتصير
إنساناً، وأصير أنا الحجر.. وتقذفني.

شعرت أن عظامي تئن.. شعرت أني آخذ أنفاسي
بصعوبة، وأني لم أحصل على كفايتي من النوم.. نظرت إلى
المنبه الصغير فأشارت عقاربها الفسفورية إلى الرابعة.. ظننت
أنها الرابعة صباحاً، فتركت نفسي مرة أخرى للنوم.. لأقوم
مفزوعاً وكأنني أسقط.. عندما أدركت حقيقة أني بالفراش
بصورة طبيعية.. لم أكن نائماً كالحفاش، وهذا كان سبباً كافياً
ليجعلني أشعر بالرعب، ولاكتشف أنها الرابعة عصرًا بعد
رؤيتي لخيوط ما تبقى من الشمس، وكَمّ المكالمات التي لم

أجبتها بهاتفي النقال.. ما الذي يحدث لي؟ متى سأجد السلام مع نفسي اللعينة، وأشعر بذهاب هذا الجمل الزائف! أهديت نفسي كوباً من الشكافيه.. قبل أن أقوم بعقوبة جلد الذات بالنظر أسفل الفراش عدداً لا بأس به من المرات جزاء نومي بفراشي بصورة طبيعية.. حتى أشعر بالراحة الجزئية..

(العبد الذي ألقى على نفسه لعنة صنم بلعبة الحياة)

أنين يأتي من رقبتي..

(العبد الذي يتعامل مع مشكلة ليست لها وجود لكنه دوماً مشغول بها)

أنين يأتي من داخل عقلي..

(العبد الذي يحارب رأسه (وآلف سيف) وفقط يتمنى أن يتخلص من رأسه.. (الآلف سيف) ليست المشكلة)

أحياناً أشعر أن أفكاري الواهية تلك.. ما هي إلا مخدرات تُبقيني بعيداً عن الواقع البشع وعن ملل الحياة.. لكنني صرت في مرحلة متقدمة من الإدمان ولا أستطيع أن أفلح.. أحياناً أشعر أني أريد أن أمسك سكيناً وأغرسه داخل عقلي ليتوقف قليلاً.

(حواء الإبراهيمي. أخصائي الطب النفسي)

بعد اعتذاري لياسين عن اضطراره لاستخدام مفتاحه الاحتياطي للحصول على سيارته من أسفل المبنى الذي أظن به.. وبعد اعتذاري لمتنصر عن عدم الظهور في العمل اليوم ووعده بالظهور في القصر.. وبعد اعتذاري لحور - التي بدأ شكها يتحول إلى يقين أني أخفي شيئاً ما - عن عدم الرد على مكالماتها.. وبعد اعتذاري للياسين عن عدم الرد على مكالمته ووعده برؤيته قريباً.. وبعد جلد الذات الذي استمر لساعة ونصف بالنظر لأسفل الفراش أربعاً ثمرة مرة، مع عدم ظهور الوحش اللعين.. وجدت نفسي ها هنا.. وقفت متردداً.. هل هذه هي أم لا.. وإن كانت هي.. هل أريد الدخول أم المغادرة؟ قطعت شكّي وترددت باليقين ودفعت الباب.. وأنا أتذكر أول يوم رأيت به (حواء)..

كان المكان فارغاً والصمت برائحة عطر جميل تحتل المكان.. ومن ثم ظهرت.. كانت بالغرفة الجانبية التي علّق على بابها لافتة تقول دكتورة حواء، وقالت:

- أسفة جداً، السكرتارية اعتذرت النهارده لظروف خاصة.

كانت جميلة كمنجم فترة السبعينات بهوليود.. ذلك الجمال المختلط بالرقّة والدلع والأنوثة الطاغية.

- حضرتك تحب عمل الأبلهيشن؟

لكنتها العربية منخمة بعض الشيء... سلسلة بالإنجليزية
بلكنة بريطانية واضحة عند نطقها بالحروف الأجنبية.. هل
هذا التأكيد الذي أنتظره لأعلم علم اليقين أنها هي.. حاولت
أن أنظر للملامح الوجه وأقاربها بتلك الفتاة الصغيرة.. لكني
لم أستطع الجزم.. هل هي (حواء) التي أعرفها أم لا..
صوت يقول لي إنها هي.. والصوت الآخر ينفي.. ويخبرني
أنني سأخرج نفسي.. تبا للأصوات بداخلي.. وكأن جميع
الشياطين لها نفس صوتي.

لماذا لا يكون صوتاً واحداً أستطيع الاعتماد على رؤيته؟

لماذا لا لعب دور المريض حتى إشعار آخر؟!

لا أظن أنني سأجد صعوبة في إقناع الدور.. كانت لا تزال
تنظر لي مبتسمة منتظرة رد الفعل، دون إظهار ذرة من
الكلل لتأخري في الرد.. فامتدت يدي دون كلمة آخذاً منها
الاستمارة.. على الأرجح هي تُقابل العديد من المرضى، فلن
تستغرب من هذا الذي لم يتكلم.

كتبت بياناتي بطريقة سليمة، وأنا ألوم نفسي على أنني لم
أتكلم معها، أول أصرارها لماذا أتيت ومن أظنها.. وتذكرت
كيف كان اللقاء الأول عندما كنا أطفالاً، وتذكرت كيف
أخذت الكرة الصغيرة إلى بيتها في اليوم الذي بعده لأهديها
إياها بعدما فكرت في كلام أمي عن الحب، الذي كنت أريد
أن أشعر به وقتها، لأجدها تتكلم مع أخي، فعدت أدراجي

دون أن يلاحظني أحد، ليظل هذا المشهد غير مكتمل.

دخلت إلى غرفتها وأشارت لي حيث مقعد أثير، بعدما
أخذت مني الاستمارة، وقالت:

- ارتاح يا آدم.

تسمرت بمكاني قبل أن أقول كإنسان لي:

- آدم!

أجفلت وقالت وهي تبتسم ابتسامة منكسرة:

- ده اللي أنا قلته يا آدم.

هل قالت اسمي حقاً؟ لماذا سمعته (أدم) إذن؟ هل
بسبب لكتنتها؟! جلست حيث المقعد الوثير وحدثت بعينها
قليلاً، ومن ثم قلت دون تفكير:

- أنا عندي Ocd.

ماذا؟

- مابقتش قادر أستحمل الحياة وعقلي يشتغل بالطريقة
دي.. وأقل قرار في حياتي يبقى محتاج مجهود عشان أخده..
مش عارف أفكر في أحلامي وفي بكره اللي أنا عايزه.

صمت

- حاسس إني عايش وفيه حد دايس على دماغي لتحت

المية، مخليني مش عارف أتفلس.. حاسس إني نفسي
ف حرية عمري ما هوصلها مع إني عارف إنها ف إيديا..
بقيت خايف..

توقف يا آدم

- خايف من أي لحظة.. عشان مابقتش عارف امتي
هتيجي الفكرة الغريبة مرة واحدة.. من كلمة قالها حد..
من حاجة شفتها.. من حتى مجرد خاطر مالوش أي معنى..
مابقتش عارف إيه الطقوس اللي هتطلب مني.. لكني هبقى
مضطر أنفذ عشان حياتي ماتبطلش.

ماذا أفعل

- لكن اللي بيضايق أكثر إني عارف إن كل ده مالوش
معنى.. أنا بعمل حاجة ملهاش معنى عشان حاجة ملهاش
معنى ماتحصلش..

الكلام يكر بعضه بعضا

- أنا ببوظ حياتي عشان حياتي ماتبوظش.

لماذا لا تبغيني الحياة.. لماذا تكتفي بالمضغ؟

- أنا بطلت أقرأ أعراض الأمراض النفسية.. كل ما أقرأ
أعراض مرض القلق نص الأعراض قيتا.. وماينشعش أحكي
لحد.. لو حكيت لحد مش هيشوفني زي ما كان شايفني..
نظرتة ليا هتتغير.. هيقولي لو انت عارف إن اللي بتعمله ده

مالوش معنى.. طيب ببساطة ما تبطل تعمله.. عمر ما حد
هيفهم عقلي شغال إزاي.

مياه الشلال تتساقط بفعل الجاذبية

- ساعات بحس إني مش عايز أسبب أفكار عشان
موتسني.. لكني بضحك على نفسي مش أكثر.. أنا مش
قادر أسيبهم.. وساعات أكثر بحس إني مش قادر أحب
نفسى لإن الأفكار دي بتتردد ف دماغي.. وده بيخليني
دايا متضايق.. ولما بيسألوني مالي؟ برسم ابتسامة وأجواب
الإجابة النموذجية.. مفيش.. أصل لو حكيت هحكى إيه؟
كل الوسواس ملهاش علاقة بالحقيقة.. أنا عارف كده
كويس.. لكن ده بيخليني أتضايق أكثر.. لإني مش عارف
أعيش اللي أنا عارفه.. بخاف دايا ليكون كل الناس بتفكر
زيي.. لإني عايش على أمل أبقي يوم طبيعي.. طبيعي اللي
هو زي باقي البشر.. اللي أنا مش عارف تفكيرهم ده عامل
إزاي.. كل اللي يحلم بيه إني أشيل النغمة اللي متقلة كل شيء
ف حياتي وأبدأ.

الحلم من جنس الواقع

- أنا تعب!

هل هذه دموع بعيني (حواء).. لماذا أخفت وجهها
عني.. لماذا شعرت أن الكلام اتى من عينيها فقط عندما
قالت:

- ماتخافش يا آدم.

* * *

- إيه الحجاب ده بس.. بترضي ربنا وعبادة ولا إيه؟
في طريقنا للقصر أنا و(الياني).

- يا بني ما تتجوز بقى وتخلص من العك اللي انت عايش فيه ده.

قلتها مبتسماً.

- أنا مش هتجوز غير واحدة شبه فاتن حمادة.

قالها الياني بفخر، فقلت:

- شكلك في الآخر هتجوز حمادة!

ضحكنا ونحن في الطريق للقصر.. كنت كل فترة أحاول أن أنظر إلى جرح الياني حتى أسأله عن سببه.. لكن عليّ رؤيته الآن حتى لا يبدو سؤالى مريباً.. لكن الأكام اللعينة...!

- بمناسبة حمادة، بيتهأيلي كده إني لاقيته.

انتبهت وانتظرت أنه يكمل، فقال:

- هايدي اللي معاك في الشغل دي مرتبطة؟

- تقريباً لأ، بس هتاكد كده من تحت لتحت وأقولك.

صمت قليلاً متأملاً الأفق، فإزحته:

- تفكر هترضى بواحد زيك؟

ابتسم ومسح على شعره، فظهر الجرح بيده اليسرى.

- البنبت دايمًا بتحب اللي مش مرتيحها.. ده سبب إن دكتور الأسنان عريس ممتاز!

ابتسمت وهممت أن أسأله عن سبب جرحه، فسبقني هو بأن ربّت على كتفي وتركني دون سابق إنذار، فقلت:

- بقالك فترة مش بتقعد معانا.

قال لي وهو يخطو مبتعداً، بعد اكتشافنا أننا وصلنا للقصر:

- مسير الحبي يتلاقى.

إن الصحبة بالطريق تجعله يبدو أقصر

تابعته قليلاً وهو يبتعد، ومن ثم دخلت إلى القصر وأنا أفكر هل وجد (الياني) اللوح المحفوظ أيضاً؟ شعرت بالقلق من الفكرة، وزادني قلقاً صورة جرحه باليد اليسرى وأنه أعمق من جرحي، وشعرت أن هذا سيُسبب لي المشاكل.. ربما لأن جرحي لم يكن بالعمق الكافي لم يعمل اللوح المحفوظ.. لكنني حاولت طرد كل شيء.

- ملاك مش هيبظهر تاني؟

كان ذلك (ياسين) موجهاً كلامه لمتنصر، فقلت وأنا
أسحب مقعداً وأجلس بجانبها بنبرة تساؤل:

.. ملاك؟

مع أصدقائي أنسى الوسواس حتى أتذكر.

.. واحد صاحبي قعد معنا من كام يوم، بس هو غريب
جيتين.

أكد كلام (متنصر) تذكراً من ياسين للتذكر:

.. اللي قتلتك عليه أبوه من الجن.

هززت رأسي متذكراً، وقلت مازحاً:

.. ملاك وابن شيطان؟

* * *

أغلقت الباب خلفي وأنرت الأضواء ثم جلست في
الصالة على، عكس عادي، ولم أهرع إلى غرفتي.. حدثت
للحظات بالغرفة المغلقة وأحسست أنني أسمع نقرًا على
الحائط.. وحدثت للحظات أخرى بالغرفة التي تُقابلها..
المغلقة أيضًا.. لكنني أستطيع فتحها وقتما أريد.. فقط أنتظر
البداية.. فقد خزنت بهذه الغرفة جميع الأشياء التي أحب..
كان إحساسي غريباً.. كنت مرهقاً.. لا أريد أن أمّر بيوم
آخر مع هذه الأفكار التي تحاوطني والأفعال غير المنطقية..
وفي نفس اللحظة كنت أشعر بشيء من الراحة بالكلام مع

(حواء) عن الوسواس القهري.. كنت حزيناً لأنني لم أكلم
(حور) اليوم غير مرة وشعرت أنها حزينة بسببي.. كنت
حائزاً بسبب ظهور هذا الشخص الذي أعطاها القذاحة
التي حرقت (أدهم) منذ سنوات.. وكنت غاضباً من نفسي
بسبب البارحة وجرحي لنفسي دون إرادة واضحة مني..
تحركت من مكاني حين تذكرت (اللوح المحفوظ) واتجهت
إلى غرفتي لأجده بمكانه حيث رميته البارحة أرضاً.

انحنيت ووساوسني تُفكر جديداً بفرض ضريبة عليّ، بأن
أجرب مرة أخرى جرح نفسي بصورة أعمق.. لكنني بعد
أن التقطته وجدت بصفحته السوداء الأولى كلاماً باللون
الأحمر:

الماضي يعود إن فتحت له الباب.. وستفتحه.. وستقابل
بعض أصدقائك بمكان اعتدتم رؤيته بعضكم فيه

وقفت مأخوذاً للحظة، عيني تجري على الكلام مراراً
وتكراراً حتى صار الكلام متشابكاً برؤيتي، ومع ذلك...

بعد برهة جلست على الفراش محاولاً فهم أي شيء ما
حدث.. هل معنى ذلك أن هذا الكتاب يتنبأ بالمستقبل؟
قلبت الصفحة حيث الظهر الأبيض لتزداد حيرتي عندما
وجدت كلاماً آخر بالأحمر لرأجده بالأمس:

أنا القلم الذي يُحقق لك ما تريد

فهل لديك الجرأة لتجديني؟

اجرح نفسك فوق القلب!

وكانت هناك رسمة لعلبة مغلقة وعليها رسم لقلب
متداخل مع عقل.. تحركت دون تفكير إلى حيث السكين،
وجرحت نفسي حيث كان جرح الأمس.. وبعد قليل من
الانتظار.. اختفى القلب واختفى العقل.. ومن ثم اختفى
الكلام الذي كان مكتوباً بالأعلى، وظل الصندوق المغلق،
وبعد برهة ظهر الكلام بالأحمر، وكان الهواء يكتبه:

الموت حياً كجزء من اللعبة.. والموت بعد الحياة هو
نهاية كل لعبة.. والتغلب على الموت حياً بالحياة هو اللعبة..
واللعبة صعبة للغاية

انتظرت ظهور أي كلام آخر

ستمجد القلم حيث خوفك.. وهذا هو القلم الوحيد
الذي تستطيع أن تكتب به في اللوح المحفوظ

ومن ثم كانت تلك اللعبة التي لم تختف صورتها، ومن ثم
ظهر كلام آخر بأسفل الصورة والصفحة:

كل ما تكتبه في اللوح المحفوظ يصير حقيقتك

الخميس

29 أغسطس 22 شوال

1434 --- 2013

23 مسري

ما أسهل أن تكون عاقلاً بعد فوات الآوان

السلحفاة تخرج رأسها خائفة.. بعد أن اطمأنت أن
القوقعة تحوطها.. تعلم أن وقت خروج الرأس لن يطول
وستعود بسرعة إلى الداخل

- اكتب يا آدم.. فكّر واكتب.

العبد الذي يبحث عن حل يُرضي الطرفين
عينا (حواء) قادرة على الإقناع..

1 - الشيطان يحاول يكسب وقت.. لحد ما وقتي
يخلص.

- عارف شكل الشيطان يا آدم؟ تقدر تميّز قناعه؟

هل أسأل نفسي؟ هل (حواء) هي من تسألني؟

2 - له لازم أقنع عقلي بحاجة أنا عارفها؟

الضعيف يجري خلفي.. لكنني أسرع الأياثل.. أنا أسرع
منه.. خائف.. بالطبع أنا خائف.. لماذا أنكر هذا؟

3- كام حاجة كان ممكن أعملها وأحققها وضاعت من
إيدي بسبب وهم عدم البدء؟

لقد أخرجني من القطيع.. لقد حاوطني هو وقبيله..
لكّني سريع!

4- الفكرة عمرها ما كانت فالي أنا عملته.. الفكرة ف
الي همعله!

لماذا أنظر خلفي.. زعجرتني تجعلني أتشتت.. تجعلني أفقد
نصف سرعتي.. أسنانه تُرعبني.. لولحقتني.. ستعاقب جسدي
وتسلب روحي

5- مش لازم أصلح غلطات الماضي.. يكفيني بس إني
أبطل أكررها.

كلّ ما أريده أن أكل العشب في سلام

6 - أقل فعل بيبقى صعب.. أقل قرار بيبقى صعب..
أقل خطوة لقدّام صعب.. قلق حتى ف وقت النوم.. مش
قادر أستمتع بالحاجات الي بحبها.. مش قادر أحب نفسي..
طول الوقت بدور حواليا على الحاجات الي بتخونني.. ولما
بلاقيها بخاف.. الفرصة لما بتجيلي بخبيها عن نفسي.. الحلم
هو أيام خالية من اللعنات.. ليه برمي باللعنات على أيامي؟
فين المنطق؟!

لماذا أتلفّت؟ لماذا لا أكل العشب في سلام؟

7- الصحيان ما بيضيعش الحلم.. الحلم ييموت بالنسيان.

أقع أرضاً.. يحاوطني.. يغرز أنيابه.. يُقَطِّعني

8- ثابت ف مكاني ما بتحركش.. عشان ماعملش حاجة
عقلي يحاسبني عليها.. ليه مانع نفسي أقوم بالحاجات الي
بحبها؟

الدم بكل مكان حولي

9- أنا عارف إني عملت حاجات كتير قوي غلط.. بس
لازم أسامح نفسي.. لازم أفهم إن كل حاجة (تمام).

- كدل كتابة يا آدم.. آدم؟

أرئى الدموع بعيني (حواء).. هل الدموع بعيني؟ فقدان
الإحساس بالمكان والزمان.. الذاكرة تتراقص أمامي.. آخر
أفكارني ليزر بيد طفل، وأنا القطة التي تُطارده وتظنّ أنها
ستمسكه يوماً من الأيام.

العبد الذي وضع أفكاره تحت المراقبة

أنا الضبع الآن.. أجري خلف الأيل الغبي.. هو يعلم أنه
الضحية ولذلك سيكون...

العبد الذي زرع الشجرة المحرمة بيديه

دائماً ما أشعر أن هناك شيئاً خطأ.

- آدمه؟

تعريف الدائرة؟

فكرة عادية يوصلها العقل بطريقة شاذة.. أو فكرة شاذة يهتم بها العقل بطريقة غير عادية

العقل يربط الفكرة مع فكرة تخوف

العقل يرفض يقوم بالفكرة العادية وإلا تحصل الفكرة التي تخوف

المخاوف بتزيد

الفكرة بتسيطر عليك وتغلبك عصبي وقلقان عشان عايزها تروح من دماغك

الفكرة عمالة تتردد جواك وتغلبك متردد تعمل أي حاجة

شايف الفكرة فد كل حاجة وكل حركة وكلمة وحرف ورقم ونفس حواليك

شايف من خلال الفكرة كل حاجة

كل حاجة بتحصل غلط سببها الفكرة

حاسس إن العذاب ده عمره ما هيسيك

الفكرة بتفضل تهديك إنها هتلق فيك للأبد، وإنها هتبوظ حياتك وأحلامك ومش هتحس بطعم لحاجة ثاني

هنا ولأنك خلاص فقدت المنطق من خلال الفكرة؛ بتبدأ تفقد المنطق من خلال التصرفات

الفكرة فيرس بيتنقل لأفعالك

بتعمل أي حاجة عشان تتخلص منها

بتبدأ تنشغل بطقوسك الوهمية وبعدها بتحس براحة نسبية

لكن الفكرة ترجع تظهر بشكل أقوى

وترجع الدائرة تبدأ من أول جديد

سرعة انتهاء الدورة بالدائرة غير معلوم.. أحيانا كل دقيقة دورة.

العبد الذي قرر بكامل قواه العقلية أن قواه العقلية بخطر - آدم؟

هل ذهبت الأنوار أم أنا من أصابني العمى؟ لماذا لا يتكلم أحد، أم أنا من أصابني الصمم؟ إن لم تكن هناك من نقطة نور واحدة فما الذي سيعود علينا من التحديق في الظلام.. سأغلق عيني.. سأدعني أغلق عيني.

10 - الفكرة عمرها ما هتسيك.. عشان انت مش سايبها!

11 - انت متخيل اللي انت فيه ولا لأ؟

12 - لما فكرة صادرة مني بتعجبني.. زي ما أكون مش مصدق إني طلعت بفكرة زي دي.. أو زي ما أكون مش

عايز النجاح والعائد المصاحب للفكرة لو نفذتها.. ففلحظة
ببدا أدور على الفكرة اللي تبوظها.. وده سهل قوي بالنسبالي.

تعريف البداية

لإن الأمر سهل بتحاول تخليه صعب عشان تبرر لنفسك
ليه ما قمتش بيه طول المدة دي

دائماً لما بتبتدي.. بتبتدي حاسس إن الفكرة اللي خوفاك
هي سبب بدايتك، فتبتدي وانت خايف

وعود للنفس أكبر من قدرة النفس على التنفيذ

إحساس التشتت لإنك عايز تصلح كل شيء ف نفس
الوقت

إحساس الفشل لعدم الرضا عن أي شيء حاولت تعمله
اللوم دائماً يكون عشان انت ما بتدش صح

تلف وترجع تاني وتبتدي من أول تاني، وتحصل غلطات
فتقول إنك ما بتدش صح، فتحصل غلطات، وهكذا

الفكرة الصح في شكل البداية الصح

البداية هي اليونيكورن

العبد الذي اتخذ من الهواء عدواً فطرحه الهواء أرضاً

13 - الفكرة هشة.. اسحق الفكرة!

14 - مجرد أي فكرة بيلاقيها خوفاي ييجري وراها.. لو
بتهددني بتسجيل الفكرة ف عقلي.. سجل زي ما انت عايز!

15 - ليه بتقاوم اللي انت عايزه؟ ليه بتحاول تضلل
نفسك؟!

العبد الذي اتخذ من الأكر صديقاً ومن الجنون صديقاً
ومن انعدام الثقة صديقاً.. ومن كامل الدنيا عدواً!

من هم هؤلاء الناس؟ هذا الفتى بجاني، أليس هو
من أعطى القذاحة لحور؟ أستطيع تمييز الهالة التي تحيط به
الآن.. أنظر له فيعبس.. ومن ثم يبتسم.. ويشير لي على أيدي
البشر الذين لا أعرفهم.. هل يعرفون أنفسهم؟ جميعهم
يُمسكون اللوح المحفوظ باليد اليمنى وباليسرئ العلية التي
بها القلم.. جميعهم يبحثون عن اللوح المحفوظ والقلم.

لا أعرف كيف أعرف هذا!

لماذا دائماً أشعر داخل عقلي أني قريب من شيء لا أدري
كنهه؟

16 - انت إزاي مستحمل كل ده؟!

الجمعة

30 أغسطس 23 شوال

1434---2013

24 مسري

إيليس كالفحة، إذا لم يتركك يسودك

آدم اكسب شيطانك

همس أمي يتردد وكأنه التكبير.. عيني مفتوحة.. هل كنت نائماً؟ الصورة بالقلوب أم هي طبيعية في حالتي؟ أنا فوق فراشي كالخفاش.. يدي مضمومة وأمسك بشيء بقوة وأوجّه إلى صدري.. نظرت لأجد أني أمسك السكين.. اعتدلت على غير عادتي متفاجئاً.. لأتفاجأ مرة أخرى عندما وجدت شخصاً يجلس بجانبني على الفراش، أصابني الذعر ووقعت على الأرض، قمت مسرعاً متخذاً خطوة للوراء وأنا أرتعد موجّهاً السكين ناحيته، كان يتسهم ويهدوء ترك الفراش وقال:

- ملاك.

ظلت عيني عليه وظلّ تفكيري حائراً، وظلّ السكين موجّهاً ناحيته.

- إيه اللي منحك تتنحر؟

قالها وعينه الزرقاء اللامعة المألوفة تُشير إلى السكين

بيدي.. لا أعرف ما الذي دفعني حقاً لأجيبه بدلاً من أن أسأله ما الذي يفعله في شقتي وغرفتي.

- إيماني برينا.. قتل النفس حرام.

قال وعينه تحترقني:

- لو فعلاً ده السبب.. ليه ماتتخدمش إيمانك ده عشان تعيش؟

الآن فقط ومع انشغال عقلي بتساؤله البلاغي تساءلت بصوت مسموع:

- انت بتعمل إيه هنا ودخلت إزاي؟

- اهدا يا آدم.. ياسين تحت وكان قلقان وبعثني عشان أطلعلك.. الباب كان مفتوح.

ظللت لثواني أحاول استيعاب الموقف.. حتى أدركت أنني لا أزال أوجه السكن ناحيته.. خفضته بحذر، وبحثت بعيني عن اللوح المحفوظ.. وجدته فوق مكتبي، فقلت له:

- هغير وأنزلكم.. لو سمحت ممكن...

وأشرت له ناحية الباب.. لكنني وجدته قد تحرك قبل أن أشير.. تبعته وتأكدت من إغلاق الباب خلفه.. ومن ثم استندت على الباب محاولاً التقاط أنفاسي.. هل أفقد الوعي أو ما شابه؟ هل أفقد أجزاء من ذاكرتي؟ هل أنا تايلر دردن؟ أعمل ليلاً

بالفنادق الفاخرة، أتبول في طعام الناس وأضع لقطات إباحية بالشريط.. هل أنتجول حول العالم لأقيم نوادي القتال؟

ما الأسوأ الذي قد يحدث لي؟

وقبل أن أراجع عن هذا السؤال جاءني الإجابة في صورة دم يخرج من أسفل عقب باب الغرفة المغلقة.. أسرعت ناحيته ومن ثم تسمرت.. لا أستطيع أن أفتح هذا الباب! سيموت أصدقائي.. أعلم أن هذا هراء.. لكنني لا أستطيع!

ظلت عيني تُراقب الدماء وكأن ذلك سيعطيها الإجابة.. لكن ذلك فقط زاد الأسئلة.

هل قتلت أحدهم؟

تحركت يدي لإرادياً ناحية القبض، لكنها تسمرت قبل أن تلمسه.. عقلي يلومني في تلك اللحظة أن يدي تحركت ناحية القبض، مهزداً إياي أن ذلك لن يمر مرور الكرام.. عقلي يلومني أنني لا أفتح الباب لأرى ما الذي يحدث خلفه!

عقلي يلومني في جميع الحالات، كنت على وشك الانهيار.. شعرت أنني حمار عذبه صاحبه لسنوات ويمر ما لا يطيق، وأنا ذاهب إلى غرفتي.. لامست أطراف أصابعي ورق اللوح المحفوظ ذي الملمس الناعم.

سيتغلب عليك من هو حي داخلك.. سيأخذك إلى فتاة تحبك.. وستكون رفقة فراشة ليوم لن تستطيع استعادته

لم أفهم شيئاً، فنظرت إلى الصفحة البيضاء التي كان بها رسم للعبة التي عليها القلب والعقل، فوجدت جملة واحدة:

ستجد القلم أسفل الفراش

تركت اللوح المحفوظ مفتوحاً واتخذت وضع الحفّاش كي أنظر أسفل الفراش، لكنني لم أجد شيئاً.

اعتدلت مرة أخرى وحذقت بغرفتي وكأني طفل صغير يحذق بالنور.. لاس شيء ما قدمي فقممت مفزوعاً.. لأقفز مرة أخرى متخذاً وضع الحفّاش، ولكن لا شيء.. كنت مذعوراً.. كنت أتمنى لو أستطيع الانفجار بالبكاء كي أستطيع التفكير بعدها.. كنت لا أستطيع التفكير.. لا أستطيع مسك خيوط أفكارى وكأنها ماء!

* * *

بعدها وجدت هاتفي النقال في غيبوبة مؤقتة.. لعنت كل شيء وتركت كل شيء.. مفكراً بجدية في عدم العودة إلى هذا المنزل مرة أخرى، وحجز أحد الرحلات للذهاب ليلد ما دون عودة.. كان شعور الغضب قد تغلب على شعور القلق بعدما لم أجد لا (ياسين) ولا (ملاك) بأسفل البناية.

لا أستطيع حقاً أن أفكر فيما أريد أن أفكر فيه.. أشعر أحياناً أنني لو فعلت ذلك سأكون ناجحاً في كل شيء.. ربما هو خوف من النجاح.. ربما هو خوف من الفشل..

ما الفارق؟ وعلى هذا الأساس دخلت في دوامة أخرى من الدوامات التي لا معنى لها، حتى وجدت نفسي في المنشية أمام المكتب السياحي.

فتحت الباب فوجدت (هايدي) مشغولة مع أحد العملاء، نظرت لي باستغراب وأنا أهز لها رأسي مصطنعاً ابتسامة وأجلس على مكتبي.. كان حرق الوقت الآن هو ما أريده.. أو حرق عقلي بأفكاره الخبيثة.. وضعت هاتفي النقال ليرضع بعض الكهرباء.. وتركت نفسي أمام السوليتير.. لكنني شعرت بململ حارق في منتصف الدور مع أنني كنت أكسب.. أغلقته في غضب.. على الأرجح هذا الغضب ناتج من داخلي لأنني أريد أن أكون في بيتي الآن، أعلم ما الذي يحدث حقاً.. فتحت (فيس بوك) وأنا أعلم أنه لا جديد، لأجد العلامة الحمراء تشير إلى واحد.. شعرت باستغراب.. لأن احتمال أن تأتيني رسائل جديدة على (فيس بوك) هو كاحتمال العثور على الخاتم داخل السمكة!

فتحت الرسالة لأجد اسم المرسل (أدهم المهدي).. تسمرت مرة أخرى بمكاني واتسعت عينايا.. بعدما أفقت نظرت حولي في قلبي، قبل أن أفتحها، وكأني سأشاهد مشهداً إباحياً.. فوجدت (هايدي) لا تزال مشغولة مع العميل.. ونظرت إلى مقعد (منتصر) وكأني أشعر أنه سيظهر من أسفل عباءة الإخفاء..

ترددت أن أفتحها.. ونظرت حولي مرة أخرى نحو
هايدي ومقعد (متنصر)، وأنا أستعيد مشهد (أدهم) وهو
يحترق، فنفضت رأسي وكأني لا أصدق أن هذا حدث حقًا،
وفتحت الرسالة لأجد صورة للياني يتسهم ويضع يده على
كتف (حور) التي يتسهم بدورها..

هل حان الوقت لنذهبي من واقعي بملاحك التي
أعرفها لتعودي إلى أحلامي.. دون ملامح؟

* * *

عندما يتحوّل ما كان بين يديك إلى حلم بعيد المنال، لن
تناله مرة أخرى..

- آدم.. انت بتعمل إيه هنا؟

قالتها (هايدي) والرسالة لاتزال مفتوحة أمامي، وأنا
أحدّق في الهواء بعيدًا عنها وكأني لا أريد أن أصدق ما
بداخلها.

- انت جاي يوم أجازتك؟ كنت فبن إمبارح؟ كلنا قلقنا
عليك!

البارحة.. يوم أجازتي.. أصدر هاتفي النقال نغمة عودته
للحياة.. فالتفت بكل الوقاحة غير المقصودة ناحية (هايدي)
لأنظر في التاريخ.. لأجد أن اليوم هو الجمعة.. إذن أنا (تايلر
دردن) بالفعل؟

- موبايلي كان محتاج يتشحن فقلت أسلم عليكى وأضرب
عصفورين.

نظرت لي متشككة.. فذكر عقلي لي شيئًا غريبًا.. أن عمار
زوج جوليانا كان من أصل مغربي كالياني.. ومن ثم أعاد
لي تلك الجملة التي قالها (الياني) وهو يقف في نفس مكان
(هايدي)، فشعرت بالقلق من مجرد اسمه داخل عقلي.

فردد لي عقلي جملة مرة أخرى:

انت هتلاقى كابوسك

* * *

الموتى يعودون للحياة.. الموتى لا يظهرون بالصور..
تقترب خطوة أخرى من أن تصبح صنيًا.. الموت يقابل بعض
البشر كل يوم.. اليوم يقابل شخصًا في حياتك

ستجد القلم أسفل الفراش

كنت في غرفتي على فراشي كالحقّاش.. بعد أن علمت
أني فقدت يومًا لا أستعيد ذاكرته.. استعدت ما قرأته صباحًا
في اللوح المحفوظ، وأدركت أن ذلك كان للبارحة، فعدت
أدراجي لأعرف ما الذي يحمله اليوم.

كل ما أستطيع استخلاصه من هذه الجملة التي أحدّق
بها منذ ساعات، بينا أحدّق بالأسامي القليلة في هاتفي
النتقال، هو أنني قتلت أحدًا ما وأنه في تلك الغرفة المغلقة..

ظلّ عقلي يقوم بعرض جميع الأشكال الممكنة لجثتي (اليمني)
و(حور) خلف هذا الباب... ولا أعرف لماذا أجلس في مكاني
أشاهد عقلي مذعورًا..

قررت أني سأكلّم (اليمني) لأرى ما الذي سيحدث..
لأواجه بما رأيت في تلك الصورة.. قررت أني سأكلّم
(حور) التي لم تُكلّمني اليوم.. قررت أني سأكلّم (ياسين)
وأسأله عن سبب اختفائه.. لكنني لم أعلم أي قرار سأنفّذ..
فوجدت أني أكلّم (حواء).

السبت

31 أغسطس 24 شوال

1434---2013

25 مسري

ألف فرعون يطاردني وأنا بلا موسى

بجسد نصف عارٍ ويبد مجرّدة أدفع الصخرة على تلٍ
منحدر.. كلّ ما أستطيع التفكير فيه هو أن أصل إلى الأعلى..
كلّ فكرة غير هذه الفكرة لا أراها.. الصخرة لا تتحرك..
أنا لا أمتلك عضلات سيزيف.. أنا لم أحن.. لم أسرق.. لم
أغوي أحدا.. لم أعتصب، بل ولم ألمس فتاة من قبل.. لماذا
أنشطني سيزيفية إذن؟!

الصخرة تدفعني.. تُزحزحني.. أقع بداخل الماء.. الصخرة
فوق صدري لا تزال، وكأنها صارت جزءاً مني.. تدفعني لأسفل
ولا أزال أمسك بها.. أعلى التل.. يجب أن أصدق إلى أعلى التل.

بجسد نصف عارٍ ويبد مجرّدة أعتصر صدر (حواء)..
ومن ثم توقّف الزمن عند إدراكي.. تراجعت فوقعت
أرضاً.. ونظرت لي.. فنظرت لصدرها العاري نظرة
لا إرادية، وبصعوبة بالغة حوّلت نظري لعينيها وحاولت
أن أثبتّها، داعياً ألا تخونني النظرة.. الشمس تدنو من عقلي
فيقرز الأفكار.

- أدهم مالك؟

صوتها كالنسيم..

- آدم.

حقاً.. هل هذا هو ما أنطقه ويسمّي في هذا الوضع؟

- كفاية بقى يا أدهم.. آدم مات.. هتفضل لإمتى شايل ذنبه؟

- أنا آدم..

هارباً خرجت.. تبدو فكرة ترك البلد وعدم العودة لهذه الغرفة مرة أخرى رائعة للغاية الآن.. أين ملابسى اللعينة؟ الدم أسفل عقب الغرفة المغلقة اختفى! ليست هذه مشكلة اللحظة.. الباب.. أحدهم يدس المفتاح.

- آدم.

(حور) والدموع في عينيها.

- سلسبيل ماتت يا آدم، وياسين..

ذلك هو إحساس القط (توم) في كل مرة يقع عليه هذا السندان إذن!

(حور) تقترب مني، ولكنها تتوقف وتُحدّق خلفي، وأنا صرت الصنم الذي دُكر في اللوح المحفوظ.. (حور) تُحدّق بي.. (حواء) تُمسك ذراعي مرتدية قميصي - فقط على

الأرجح - (حور) تحرق روحي بنظراتها.. الكلام صار وكأنّ ربي لم يُعلّمني الأسماء بعد.. (حور) تلتفت.. تغرب تاركة الليل.. (حواء) تترك يدي.. تُغادر.. لا أعرف كم فات من الوقت.. في هذه اللحظة كنت خارج الزمان ثابتاً في المكان.. (حواء) ارتدت ملابسها وطبعت قبلة على خدي قائلة:

- ارجع يا أدهم.. حاول تفكر يوم ما آدم تحرق.

الباب يُغلق.. وأنا لا أبكي.. لا أتحرك من مكاني.. لا أفكر في شيء، وهذا غريب.. لقد مات (ياسين).. خاتنتي (حور) وختتها، وأنا أشك الآن أنني الشخص الذي أظنه.. من السهل العبث بتفكيرى.. من السهل زرع الأفكار برأسي.. إن عقلي صمغ أصلي يلتصق به أي كلام سلبي.. فهل تزور (حواء) الفكرة.. أم أنا من كنت قد انتزعتها من الجذور؟!

* * *

(اليانبي) لا يرد على هاتفه.. (حور) هاتفها مغلق.. (متنصر) صوته مختنق ويبكي:

- ياسين يا آدم.. حادثة.. مات.. عند ربنا!

الجملة غير مكتملة في أذني، لا أسمع سوى هذه الكلمات في كلامه.. أنهي الكلمة وهو لا زال يتكلم لا إرادياً.. أجلس على الأرض، أمامي الغرفة التي أخزن بها أشياءي الثمينة..

عقلي يحاول إيجاد حلّ ليجعل (ياسين) يعود للحياة.. فيدور بدوائر مفرغة..

* * *

ومن ثم أسرع بالسيارة قليلاً وأكمل..

* * *

تفادى إحدى السيارات البطيئة أماناً وأكمل..

* * *

تفادى سيارة أخرى بتهور، وانتظرته لكيكمل بعد أن نجح باصطياد فضولي..

* * *

أحدّق بالعيون الدامعة ولا أصدّقها.. كيف تدمع العيون وأنا هنا.. يقترب مني (منتصر) فأقول له إني ها هنا.. أطمئنه بأنني لم أمت.. أصرخ بهم أي ها هنا.. (حور) تبكي وتقترب مني وتحاول تهدئتي.. (سلسبيل) لم تمت.. (ملاك) يقترب مني.. يسجنني بعيداً عن الجنازة.. ويشير لمنتصر أن يظل مكانه.. (ملاك) يأخذني بعيداً، لكنني أريد أن أعود لأقول لهم الحقيقة.. (ملاك) يتسم لي ويضربني فأفقد الوعي.

* * *

أحياناً يُكبّلنا القدر لأجل مصلحتنا، ولكننا نقاوم القيود.. لازلت بين الوعي واللاوعي.. ملامح (ملاك) أملي.. أشعر

بالقيد في يدي وأحاول مقاومته، وهو ينظر لي نظره التي تخترق العيون.. يبدو أني في غرفتي.

(دنيا!!)

بائع الروبايكا اللعين، لماذا يُغيّر النداء؟ (ملاك) يهمس لي:

- ياسين مات يا آدم.. الموت رحلة محدّش بيرجع منها. أحاول أن أتكلّم لكن بائع الروبايكا اللعين يُزعجني.. (دنيا!!!)

يا شيخ ادعي بجاء الإله وكل ما ف العلالي
عن السرير جسمه ارتفع وأمه عم بينادي
(دنيا!!!!)

يا شيخ شو صار بها الولد
ما عم يتذكر شو عبد
عادلوعيه وفتح عينيه وصاح
يا امّا!!! يا امّا!!!

(دنيا!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!)

رنين الهاتف يُزعجني.. بائع الروبايكا يُزعجني..

- الدنيا مجرد لحظة يا آدم.

أرى الفكرة التي أريد الذهاب إليها.. أتحرك.. أستشعر نفسي حرًا.. أجري وأجري.. لكن القيود تُوقفتني لأن هنا نهاية امتدادها.. أنا المسلسلة نفسه بسلاسل محكمة لعقله المريض.. التفرع.. أنفرع إلى فكرة فرعية ومن ثم فرعية من الفرعية ومن ثم فرعية أخرى.. أنا أتوه.. وجحيمي هو الفكرة التي تكون بعقلي ثم تتوه.

أشعر أنني أحاول أن أعود لشيء ما بداخلي.

(ملاك) يضع شيئًا ما بجيبي ويتركني مكبلاً وحدي.. كالجزيرة.. وحدي كنبات الصبار.

الأحد

1 سبتمبر 25 شوال

1434 --- 2013

26 مسري

الحذر لا يمنع من القدر

أمشي ناحية الغرفة المقابلة للغرفة المغلقة.. ألمح بطرف
عيني كومة الملابس على المقعد ويهتأ لي أنه شخص.. فأنظر
في شك وأنا أعلم أنها مجرد ملابس.. لأجدها حقاً كذلك..
ومن ثم.. أمشي ناحية الغرفة المقابلة للغرفة المغلقة.. ألمح
بطرف عيني كومة الملابس على المقعد ويهتأ لي أنه شخص..
فأنظر في شك وأنا أعلم أنها مجرد كومة ملابس.. لأجدها
حقاً كذلك.. ومن ثم أمشي ناحية الغرفة المقابلة للغرفة
المغلقة.. ألمح بطرف عيني كومة الملابس على المقعد ويهتأ
لي أنه شخص.. لكني أعلم أنها مجرد كومة ملابس.. فلا
أنظر.. وأكمل ناحية الغرفة التي أخزن بها أشيائي، لأجد أن
الطريق يمتد.. أحاول أن أسرع.. أن أهرول.. لكن الطريق
صار مطاطياً.. ومن ثم هاجمتني كومة الملابس وشعرت بيد
باردة تحيط برقبتي، وقمت مفزوعاً.

فوجدتني نائماً كمومياء.. رفعت الغطاء الخشبي للتابوت
لأنظر للرسومات على جدران المعبد، فأجد أنها كلها
تمثلي.. رسومات لي دون عقل.. تحسست مكان دماغي
فلم أجدها.. لأقوم مفزوعاً..

ما معنى أن تعيش حياتك تقرب لكن لا تصل أبداً؟
لدي هذا الفعل القهري بنزع ورقة اليوم من النتيجة
صباحاً.. أتعجب دوماً من الرسائل الخفية داخل ورقها،
لأن بها كلمات تُشابه اليوم تفزعني!

فمي صحراء جرداء.. ماء.. الكثير منه.. غرقتي مرة
أخرى.. لأجده نائماً كالخفاش في فراشي.. (اليمني) ينظر لي
مسكاً اللوح المحفوظ وقلماً.. لرأى أهدأ استغرب شيئاً تقريباً..
- أنا أسف يا صاحبي.

كنت أعلم أنني أهلكوس، ولكن كان ما أراه حقيقياً.

- أنا أكمل كتابة كل كوابيسك.

عيني تترقق بالدمع وأنا أجلس بجانبه..

- أنا أسف.. إيه اللي كان ممكن أعمله؟

الدماء تُقاوم الجاذبية وتتحرك على جسد (اليمني)
فُتغطي وجهه.. الدماء تخنفي ويظهر وجه (أدهم).. ينظر
لي هذه النظرة التي تلومني، ومن ثم يكتب بالقلم في اللوح
المحفوظ:

- كوابيس جديدة مع كل كابوس يخلص.. كوابيس
هتزورك فالواقع عشان تدفع الثمن.

(أدهم) يتكلم بصوت (اليمني).. أبكي ولا أحاول

المقاومة، تشوّه وجه (أدهم) وجسده ويكاثي يشتد.. يحترق
ولا أستطيع التحرك.. من وسط التيران يظهر وجه (ياسين)
ويتحول لي (اليمني) ويعود وجه (أدهم).. أحاول أن
أنقذه.. لكن كيف؟ حاولت أن أطفى الناريدي واحترقت،
ولكن ظلّ هو يحترق.. أبي يخرج بالماء.. الوقت قد فات..
الإسعاف..

- أنا أسفة جدا لحسارتكم، آدم مات.. أدهم مات.

أدهم ماتتش.. آدم ماتتش.. أدهم ماتتش.. آدم
ماتتش.. أدهم ماتتش.. آدم ماتتش.. أدهم ماتتش.. آدم
ماتتش..

أدهم ماتتش.. آدم ماتتش..

أدهم ماتتش.. آدم ماتتش..

العرق يُغلّغني.. أنا كالخفاش على فراشي.. أمسك
باللوح المحفوظ لكن لا قلم.. (ملاك) يظهر أمام عيني
وكانه جاء من العدم.. ويمسك رأسي بقوة.

- كان أول مرة أشوف اللي انت شافه حسيت بنفس
إحساسك.. لكن الوقت..

- أنا مت؟

بعض الأسئلة هي الإجابات المنطقية لأسئلتنا.

- السؤال الصح يا آدم.. انت عايش؟

- أنا ميت بالحيا.

بشر لا يروني لكني أراهم.. جميعهم يبحثون عن شيء
ما.. بيدهم اليمنى اللوح المحفوظ.. وباليسرى العلبة التي
بها القلم.

- جنة ولا نار يا آدم؟

يسألني (ملاك).. والإجابة ليست بهذه الصعوبة.. من
يريد النار على أية حال؟

- ياترى أنا بملك الاختيار فعلاً؟

- انت مش مجبر على أي حاجة ليك فيها اختيار..
ومالكش اختيار فأي حاجة انت مجبر عليها.

يجاوبني وأنا لازلت أراقب ما حولي.. كل ما يحاوطني
بشر.. وكل ما يحاوط هؤلاء البشر هو موجات تُشابه
الجليد.. كقناة تلتقط الموسيقى الكونية الباقية من الانفجار
الأعظم.

- جنة!

- ماينفesch تختار الجنة بلسانك وتختار النار بأفعالك.

لرأدافع عن نفسي، وقلت:

- شكل الجنة بالنسبالي مش واضح.

(ملاك) يرد بهدوء:

- الجنة جوالك.. موجودة بعيد عن شجرتك المحرمة.

أرد بتلقائية:

- خايف ألاقها وماغشهاش.

- الخوف بيخليك تشوف القطعة أسد.. مجرد عدسات
مُكبَّرة مغتمية عينيك.

لا أعرف من هم هؤلاء البشر.. ولا أعرف كيف أعرفهم
بهذه السهولة، ولا كيف أعلم طبيعة علاقاتهم وذكرياتهم
وتفاصيل حياتهم بتلك الطريقة.. الجليد يذوب ليرسم
صوراً لا أستوضحها.. الموسيقى الكونية بعقلي تُشوش على
كل شيء.. هناك الملايين من البشر حولي.. ولكني وبطريقة
ما أستطيع رؤيتهم جميعاً.

- بتدور على إيه؟

يقولها (ملاك) لي بعد برهة من الصمت وهو يراقب
نظراتي للناس.

- بداية؟

لرأكن أعلم أن هذه ستكون إجابتي حتى قلتها.

- الحقيقة إن انت شايف مفيش أي يوم مناسب، ده
بالتبعية بخلي أي يوم مناسب.

يقولها (ملاك) وكأنه يعلم طبيعة شكواي.
أكذب فأقول:

- لكنني مستني حاجة مميزة تخليني أبتي.

- انت اللي تقدر تخلي اليوم مميز ببدايتك.

يقولها (ملاك) وكأنه يرى ما لا أراه.

- تفكر في ماجربتش؟

أقولها بنبرة سخرية.. فيقول هو بنفس النبرة الهادئة:

- ركز وقلّي شايف إيه يا آدم؟

حاولت التركيز كما قال، فذاب الجليد غمًا بسرعة
وشعرت أني أقع.. وكل شيء حولي يتحوّل لمشاهد.. فرأيت
زوجًا يحنون زوجته مع أعز صديقاتها.. رأيت زوجة تحنون
زوجها مع أعز أصدقائه.. رأيت أحدهم يقتل أخاه من
أجل فتاة.. ورأيت فتاة تتلاعب بحبيب أختها.. رأيت
دم أطفال لا ذنب لهم.. رأيت اغتصابًا ونحرًا وشهوة
يتبعونها بأعينهم وكأنّ بها الكمال.. رأيت بشرًا يحملون كل
ذنوب يعيشون في رغد وهناء.. رأيت من يعبد المال.. ومن
يعبد الشهوة.. ومن يعبد الناس.. ومن يعبد نفسه.. ومن
يعبد عمله.. وكلما رأيت كنت أبكي.. وكان ما أراه يزداد
بشاعة.. ملايين المواقف والصور تتشكل أمام عيني بعقول
هؤلاء البشر.

- كل اللي انت شايفه ده حقيقي.. كل الحاجات
موجودة.. والي بيدور على حاجة كويس قوي بيلاقيها.

قالها (ملاك) وبكائي يشتد، وقد عدت لوضعي السابق
بعدما علمت أني كنت أقع وأنا ثابت بمكاني، فأكمل:

- أقفل عينك يا آدم ويص ثاني.. بص وانت مش خايف
من الحقيقة.

فعلت كما قال (ملاك)، فذاب الجليد مرة أخرى وبدأت
بالوقوع مرة أخرى.. المشاهد.. رأيت زوجًا يُخلص لزوجته
رغم الفتاة العارية التي تُغويه.. رأيت زوجة تصون زوجها
رغم عروض لبيع جمالها.. رأيت أحدهم يُقبل أخاه على
فراش المرض ويتمنى لو كان مكانه كي يزول عنه الألم..
رأيت فتاة تحتضن أختها الصغرى في عرسها دون ذرة حقد
أو غيرة.. رأيت بشرًا فقراء يحمدون الله من قلوبهم بيطون
خاوية.. رأيت من يعبد الله.. ويخافه.. ويشعر أنه معه..
ويعرف أن الدنيا ليست نهاية المطاف.. ويعامله هو ولا
يعامل البشر.. وكلما رأيت كنت أبتسم.. فكان ما أراه يزداد
جمالاً.. ملايين المواقف والصور تتشكل أمام عيني بعقول
هؤلاء البشر.

- أول مرة لقيت اللوح المحفوظ كان في المكان ده وفهمت
القدر.. كل الأفعال اللي بتحاول تمنع القدر مش هتمنعه.

- أنا مش بحاول أنزع القدر.

نفى التهمة التي لم توجه إليك هو دليل إدانتك.

- الفراغ يباكل كل شيء يا آدم.. الخوف والقلق وجبته المفضلة.. كل حاجة انت بتعملها بتحاول تملئ الفراغ اللي جواك الي عمره ما هيتملي.. بتحاول تمنع حاجات فاكر إنها هتحصل.. لكن مين عارف إيه اللي ممكن يحصل؟

- تقريباً أنا مش بحب الدنيا..

كنت أريد أن أكمل بأن أقول له إن كل الناس أشرار.. لكن ما رأيته الآن يمتنعني من الجمع.

- محدش قال الشر مش موجود.. لكن ساعات بتتغاضى بشأن نستمتع.. ظنك مش هيجلي الحاجة حقيقية.. لكن هيزدها جمال أو قبح.

- خايف أكسب فأخسر كل شيء كسبته.

- مبدأ الدنيا إنك تكسب كل شيء، وبرضه مايبقاش عندك حاجة تخسرها.. لو ما عندكش حاجة تخسرها هتكسب كثير.

صوت (ملاك) هادئاً للغاية.. صوت المستسلم للخالق والراضي.

- لكن.. عقلي دايمًا محسسنني إن فيه حاجة غلط.. مهما حاولت.. اللحظة.. دايمًا ضايعة مني.

- بص كأنك برّ خط الزمن يا صديقي..

قلت بالكر:

- ساعات بحس إنني ميتت ف تفاصيل خوفي.

فابتسم (ملاك) لاعترافي وقال:

- إنك تواجه الحقيقة.. ده أصعب قرار ممكن تاخذه ف حياتك.. وإنك تتأقلم مع الحقيقة دي وتتقبلها هو أعلى إحساس ممكن توصله، ووقتها هتبقى الحقيقة دي عجينة ف إيدك، شكلها زي ما تحب.. مش ممكن تكون بتبص للدنيا بالطريقة الغلط؟

أحيانًا وبعد مواقف معينة يتوقف عقلنا عن التفكير والتحليل، لأنه وإن قمنا بذلك ستمر بالعديد من المعاني اللاعقلانية.. لكن وعند شعوري أنني على وشك الاستيقاظ.. نظرت لملاك فذاب الجليد الذي حوله، فرأيت بعضًا من ذكرياته وأدركت الآن فقط من هو ولماذا عينه كانت مألوفة!

* * *

تتجلى الحقيقة أمام أعين الصادقين ببحثهم.. متى كانت آخر مرة دخلت الفراش لأنام متهينًا بنومي.. سنوات مرت وأنا أتقبل النوم ك لحظات الهروب.. ولكن كان عذابًا من نوع آخر يتجسد لي داخل أسرطة عقلي، التي لا تملك إلا

نوعاً واحداً فقط من الشرائط.. مخاوفي.. تفكير في جميع
لحظات نومي.. أتقلب فأستيقظ شاعراً أنني أعدت الأشياء..
أو أحاول نفخ الصور من عقلي.. الآن أنا مدرك أن مرضي
ليس الوسواس القهري فقط.. هناك مرض آخر بداخلي لا
أعرف ماهيته.. يجعلني شخصاً آخر لا يدرك ما يفعل..
وهل أدرك أنا ما أفعل؟

كان قراري الآن - الذي أعرف ما الذي يجعلني أقف
خائفاً من تنفيذه - هو النوم بصورة طبيعية في الفراش.. ما
الذي تبقى لأخسره على أية حال؟ ما الذي أخافه؟

ترددت قليلاً.. قبل أن أندفع دون سابق إنذار لأنام
بالفراش بصورة طبيعية.. للحظة كانت رائعة.. شكرتني
فقراي.. وشكرني جسدي المرهق.. وشكرني جزء صغير
من عقلي أعطيته بتلك اللحظة إحساس حرية الإرادة..
وشعر بأنه يملك حريته بيديه.. للحظة، حتى عاد الهجوم
مرة أخرى ككرة استمتعت عندما دفعتها بقدمي بقوة ناحية
الحائط لكنها ارتدت بوجهك، القلق يأكلني.. الخوف يمشي
على جسدي كصور خيالي.. لكنني نائم بصورة طبيعية..
لن أجعل شيئاً يغير هذا.

إيه اللي بيجليكي تتغير دلوقتي؟

وسواسي القهري يلعب معي بأسئلته التي تجلب المتاهة
إيه اللي بيجليكي متغيرش!

صوت المنطق الصامت لسنوات يهيمس لي

الخربشة أسفل الفراش

انت طول عمرك كده، إيه اللي بيجليكي دلوقتي تتغير؟

عشان أنا أملك الاختيار

صوت المنطق لا يكتفي بالمراقبة صمتاً

الخربشة أسفل الفراش تُصيبنني بالقشعريرة

لوا بتديت دلوقتي تعمل كده كل شيء هينهار؟

لوما بتديتش كل شيء هينهار

صوت الوسواس عال.. صوت المنطق يحاول أن يعلو..

والخربشة أسفل الفراش تزداد أكثر فأكثر.. والقلق..

والحاج الأفكار الذي لا يقف يجعلني على مسافة خطوة

لأعود لوضع الحقائق.

ارجع لوضعك الأصلي؟

ده وضعي الأصلي

صوت المنطق المهمل لسنوات يرّد الردود التي أعرفها.

ما أصعب أن تكون عاقلاً وأنت لست كذلك.

أحاول أن أغلق عيني فيفتح هو عينه المشقوقة..

أفتح عيني ولا يغلقها هو.. والنوم لا يأتي.. النوم لا يُحِبُّ

الفكرة.. الخريشة تزداد.. الأسئلة تزداد.. صوت المنطق
يحاول.. أفعالي على مدار سنوات تجعل من صوت المنطق
ضعيفاً.. قدمي تُسكها يد ملمسها غريب وبارد تجذبني
لأسفل الفراش!

الإثنين

2 سبتمبر 26 شوال

1434---2013

27 مسري

أشجع الناس أثبتهم عقلاً في بداهة الخوف

رأس الغرفة المثلثة.. وقرون الأيل التي تبقت بعد أكله..
ووجه الضيع.. وأنا.. معلق لتنفيذ حكم الإعدام.. أي
زاوية من هذه الزوايا تمثلني.. أي زاوية هي رأس المثلث
بالضبط؟ الدم حولي في كل مكان أستطيع أن أراه.. ومصدر
الإضاءة أمامي مباشرة، ويقف هو معطياً إياي ظهره فأراه
كظل.. يخرج من حيث الإضاءة للزاوية، فيبلعه الظلام
ويعود مرتدياً وجه الضيع.. يخرج من حيث الإضاءة مرة
أخرى ويعود ماسكاً قرون الأيل بيده.. كنت أظن أن وضع
الإضاءة لا يجعلني أراه.

جزء من الحائط أنا.. جزء من الغرفة هو، يقترب مني
وأخيراً أرى وجهه بوضوح.. ينظر لي بعيون خاوية.. أنظر
له بعيون تنتظر الخلاص.

كل حلم وله كابوس.. وهذا الوحش كان كابوس كل
أحلامي.. الرجل يغلي أمامي.. هناك قلب بيده اليسرى
يدس به قرن الأيل ويضعه في الرجل.. فيبتلعه طالباً المزيد.
يشير بالقرن إلى قلبي.. ويقترب، أنا القلب الذي حان

دوره.. لم يتكلم.. ولم أتكلم.. كنت مستسلمًا تمامًا لمصيري
الذي ظللت أهرب منه لسنوات.. الهروب يجعلك تصل
أسرع لجهة خوفك.

القرن يلامس جسدي في مكان القلب.. تحديقه لي.. هو
وحش النوم الذي لا يُجِبّ التفكير كثيرًا.. وبالترتبة أظنّ أنه
لا يُفَضِّلني كثيرًا.. أنا الطفل الشقي الذي كلما اقترب منه
أحد مات.. قد حان دوري.

الضبع يغرس قرن الأيل بقلبي ويضغط.. يقولون عند
لحظات الاقتراب من الموت.. يمرّ على الإنسان شريط حياته
مرسّمًا.. لكن كانت جميع حياتي طقوس مكررة، ولذلك
لم تصبني دهشة عندما مرّ على عيني ما كان من الممكن أن
يكون..

(حور) بالفيستان الأبيض.. حمرة خديها بعد انغلاق
الباب علينا لأول مرة.. أراقبها بعد النوم وأعدّ أنفاسها..
تُبَلِّغني بأن بداخلها الآن تكبر بنتنا.. أول أعياد ميلاد لها..
(حور) تُقبِل خدًا.. أنا أقبِل الحَدّ الآخر.. النظرة.. النظرة
التي لطالما حلمت بها.. فلاش الكاميرا جعلني أستيقظ.

الظلال تعكسني.. لا أعرف كيف وأنا أنظر لمصدر
الإضاءة.. أمامي الحائط فارغ.. لو هذه لحظة موتي.. ما
الذي يمتعني أن أفعل شيئًا أحبه.. ولو لمرة أخيرة.. ما
الحسارة التي تُضاهي الموت؟ لن تستطيع أفكارك التسلّطية

أن تقهرني لفعل لا أريده الآن.. حركت يديّ معًا بطريقة
أحبّها.. فصار الكلب على الحائط.. شعرت بعيونه الخاوية
تتراجع.. العصفور على الحائط.. أصنع من الكلب كلبًا
أكبر.. وأجعل العصفور نسرًا.

الضبع يلتفت حول نفسه.. خائفًا مني.. أنا لست هذا
الأيل الذي يُمسك قرنه.. رسمت على الحائط كلّ ما تعلمت
رسمه بأصابعي على مدار سنوات..

جملة أمي تتردد في عقلي بصوت أعلى من جميع الأصوات..
كلّ الظلال تُهاجمه.. ينفذ نفسه.. يتخبط.. هاجمته مرة
أخرى.. فأخري.. وقع على الأرض رافضًا كلّ شيء.. مجردة
ظلّ.. هل أخاف ممن يخاف من مجرد ظلّ.. شعرت أن الحائط
يترك جسدي المعلق.. شعرت أني لا أزال أقف معطيًا ظهري
لمصدر الإضاءة الوحيد في الغرفة، أرسم الظلال.. شعرت
بأنّي أطير لوهلة.. كنت واقفًا على الأرض رافضًا كلّ شيء..
لكنّ يديّ لا تزال تتحرك معًا في تناغم.. وترسم.. كنت واهنا
للغاية.. المرحل لا يزال يغني.. والدم حولي بكل مكان..

الظلّ يعكس وجهي.. ضبع أنا ألتفت حول نفسي.. وكان
آخر ما تذكرته انعكاس يدي دون أي تلاعب.. تمتد إليّ.

* * *

- وإزاحة الخمرة دي هتشرها لوحك ولا ياترى عازم
شيطانين؟

قلتها مازحاً للياني، ونحن نصعد لشقتي كي يبات معي اليوم.. فنظر لي وقال مازحاً:

- الشيطان هيعمل دماغه لما يشوفني عملت دماغي.

لويت شفتي وأنا أفتح باب الشقة قائلاً له، مازحاً مرة أخرى:

- طيب يا دماغ.. الكاسات والتلج ف البار.. كل سنة وانت شرير.

قلتها له مهيناً إياه بعيد ميلاده، وأنا اتجه لغرفتي متعباً بعد يوماً طويلاً، عالماً أنه يعرف ما يفعله، فهذه ليست أول مرة يأتي للمبيت.

- طب مش هتيجي تعمل دماغ للشيطان معاً؟

- اللي قاعد جوه بار مش محتاج كاس سخرة عشان يتقال عليه خمورجي.. لو حتى ببسي هتفي بالغرض.

فقال وأنا بطريقي لغرفتي:

- انت حوّلت المطبخ بار بجد ولا إيه؟

التفتُ له مبتسماً وتابعت لغرفتي، وتأكدت من إغلاق الباب خلفي حتى لا يراني وأنا بوضع الحفاش وي طرح أسئلة لا أستطيع الإجابة عنها.. كنت متعباً حقاً.. ولم أدخل في دائرة الوسواس قبل نومي كما العادة، لكنني استيقظت شاعراً

بالعطش قبيل الفجر.. مشيت كالموتى الأحياء.. وبعد أن شربت عائداً لغرفتي رأيت دماً يخرج من أسفل عقب باب الغرفة التي ينام بها صديقي.. تسمرت قليلاً بمكاني.. ومن ثم تحركت مفزوعاً وفتحت الباب، فرأيت (الياني) غارقاً في دمه بعد أن قطع عروق يده اليسرى بالطول بزجاج زجاجة الخمرة المكسور.. تحركت مسرعاً إليه.. وضعت يدي على شريانه السبائي فلم أجد أي دليل على نبض ولو ضعيف.. ناديت على اسمه آلاف المرات صارخاً (ماتروحش).. وأنا أتصل بالإسعاف.. حاولت وقف النزيف بشتى الطرق.. لكن كمّ الدماء كان مرعباً.. ضغطت عليه.. ربطته.. لا نتيجة.. تأخرت عربة الإسعاف.. وأنا أضربه بالأقلام.. مكرراً (خليك!)

لكن الموتى لا يعودون للحياة.. ولست أنا إلهة لأنفخ فيه من روحي.

العبد الذي جذبه النور وجذبه الظلام.. فتمزق.

* * *

- اتفضل أشرب شاي يا دكتور

* * *

- البنت دايمًا بتحب اللي مش مرتيحها.. ده سبب إن دكتور الأسنان عريس ممتاز.

* * *

مشيت كالمرتني الأحياء.

استعاد عقلي كل شيء وأنا أنظر للغرفة من حولي.. وأراقب ظلي الذي يعكسني بوجه الضيع.. كل هذه الدماء التي حولي هي دماء هذه الحيوانات التي ذبحتها على الأرجح.. أو هذا هو ما أريد تصديقه.. قمت من على الأرض بصعوبة.. واقتربت من ظلي فإذا بانعكاس الضيع يتضح أكثر ولكنه يصغر.. حذقت بالانعكاس لثوان.. وهدوء من خسر كل شيء نزع القناع من على وجهي ورميته بمستصف الغرفة.. وذهبت بخطوات بطيئة حيث باب الغرفة المثلثة لأفتحه فأجد نفسي بداخل شققي.. لم يحصل لي أي رد فعل كمفاجأة عندما رأيت (ملاك) يجلس على الأرض أمام الغرفة التي أأخذ بها أشيائي الثمينة.. واضعاً أمامه على الأرض.. القداحة التي وجدها (أدهم) فوق سطح منزلنا بلندن.

- جون.

قلتها ورائحة الدماء بالغرفة تحرق أنفي، فقال مبتسماً:
- أنا مجرد حطتها هناك لكن محرقوش.. موته كان
للأحسن بطريقة مش هتفهمها.

الفكرة التسلطية تطلب مني الذهاب للتأكد من الوحش
بأسفل الفراش.. الفكرة التسلطية تُمسك شوكة إبليس

١٢٨

وتغزني إن لم أنفذ.. فألثفت بخيالي.. نازعاً الشوكة من يدها
واضعاً إياها بمؤخرة إبليس.

- أدهم مات، والبياني مات، ويساين.

شعرت بأني لا أستطيع أن أكمل.

- مش ذنبك.. مش ذنب.. ولو عايز تخليهم عايشين
جواك.. خليهم.. بس مش بالشكل ده يا آدم.. مش بإنك
تقمص شخصيتهم وتحاول تشوه صورتهم جواك بأفعال
مش منطقية.. عشان تتساهم.

نظرت إلى القداحة التي يضعها أمامه فأضاف:

- اختيارك.

أحياناً أبسط الأشياء تُفسر كل شيء.. وقفت أمامه
وانحنيت وترددت قبل أن أمسك القداحة.. مستعيداً صورة
(أدهم) وهو يحترق، الأقفال الوهمية صعبة الفتح أكثر من
الأقفال الحقيقية، التفتحتها وعدت إلى حيث الغرفة.. فأتى
(جون) من خلفي ممسكاً جركناً من الجاز أفرغه بالغرفة،
ومن ثم التقط الأباجورة وخرج.. نظرت إلى كل شيء
حولي، ومن ثم لأمست بإبهامي دائرة الاشتعال ورميتها على
الأرض.. فانتشرت النيران كتأثير الدومينو.. وخرجت من
الغرفة والتفت للمرة الأخيرة ناظراً لوجه الضيع وهو يحترق..
شاعراً به يصدر أنياباً مكتوماً.

أتى (جون) بجانبى ووقف يراقب، فقلت له:
- أنا بكره (جوليانا).

فابتسم وقال لي:

- مش معني إنها أمي إني بحبها.

قلت والأئين يتصاعد من وجه الضبع ويخف من عقلي:

-ليه بيقولوا إنك ابن شيطان؟

ظل مبتسماً وقال مازحاً:

-يمكن قصدهم ابن شيطانة.

ابتسمت وأنا أتذكر أظافر جوليانا المطلية بالاحمر
والضوء يعكسها.. فأكمل (جون):

- اللي ببيخون مرة ببيخون كثير.. المهدي ماكنش أول
واحد تخون عمار معاه.. أنا ماعرفش أنا ابن مين..

ابتسمت والنار تتزايد وتأكّل كل شيء.. فدخلت وسط
النار بحذر ودفعت الرجل بقدمي فأطفأت المياه النار قبل
تزايدها.. (ملاك) يذهب من جانبي ويعود حيث الأباجورة
ليضعها بداخل الغرفة المثلثة.. ويصلها بالكهرباء فتتبر..
فقلت باستغراب:

-ليه؟

فابتسم وقال لي:

- شكل البداية يا آدم مش فـ المثالية.. مش إنك تلاقى كل
حاجة مرة واحدة بقت صح..

ومن ثم اقترب مني وحضنتي دون سابق إنذار، وأكمل:
- البداية مجرد خطوة فـ الطريق الصح.

ومن ثم ربت عليّ كتفي وتركتني وذهب.. ورغم كمّ
الأسئلة التي أريد أن أوجهها له.. شعرت أن هذه آخر مرة
سأراه فيها.

الثلاثاء

3 سبتمبر 27 شوال

1434---2013

28 مسري

من السهل أن تعرف كيف تتحرر... لكن من الصعب أن تكون حراً

كيف لا أزال أتفاجأ بالحشرات التي تُحاوطني.. والرمال
التي تسحبنني.. وأنا لم يعد يُحاوطني غير الحشرات.. ولم يبقَ
سوى نصف وجهي لم تبتلعهُ الرمال، مدفون أنا وسط الرمال
التي تبتلعني وسط الشمس الحارقة والحشرات والخوف
والقلق.. غاضبٌ على ما صنعتهُ لنفسي بيدي، وعلى ما
كان من الممكن أن يكون، فتبتلعني الرمال أكثر مع كل ذرة
غضب.. الدموع لا تأتي.. وإن أتت تتبخر وهي بمقلتي..
كيف تدعّر عالمي بهذه الصورة؟ لقد كان كل شيء في حياتي
ينبض.. لقد كنت بظّل ما صنعت أستظل.. كيف أصبحت
على ما أنا عليه.. من مجرد حشرة واحدة.. ولماذا انتبهت لها
أول الأمر.. ولماذا عند انتباهي أعطيت الاهتمام.. لماذا لم
أنتبه؟

لماذا من السهل عليّ أن أتخيل مخاوفي على أن أتخيل ما
أريد؟ كلما أغلقت عيني يجري الصرصور اللعين ويحدّق
بي وحش النوم من أسفل الفراش.. الأنين بالغرفة المغلقة..
تراكم الأشياء التي أريد فعلها بالغرفة الأخرى.. لماذا أرى

ما لا أريد أن أراه.. وأين هي أحلامي؟!

الكلام المتسارع الذي لا معنى له بعقلي.. يجعلني لا أسمع.. ولا أرى.. ولا أحيا.. بحثت عيني عن شيء ما يعطيني الأمل وسط كل هذه الحشرات.. بحثت عيني وهي متعلقة بأمل أنها ستجد شيئاً ما.. الدموع تأتي ولأول مرة منذ بلعتني الرمال تُغادر عيني.. ورأيت الفراشة من خلال دموعي.. هناك.. بعيدة.. ألوانها باهتة.. ولكنها كانت هناك.. حية.. تُرفرف.. حدقت بها.. مهملاً كل ما حولي من حشرات.. فوجدتها تنقسم وتخرج منها فراشة أخرى ذات ألوان خارج نطاق الألوان السبع.. حدقت بها رغم محاولات الحشرات منعي.. مع تزايد الكلام بعقلي وتسارعه.. لكنني لن أستسلم.. فوجدت أن الفراشتين تقتربان مني!

* * *

ملاك شرحت لي كل حاجة.. أنا في الجنة

كانت هذه رسالة من (حور)، لكنني لم أفهم الجزء الثاني منها، ومع هذا رددت بتلقائية:

انتي الجنة

استيقظت لأول مرة منذ سنوات شاعراً بالراحة.. الوسواس جرس إنذار يؤرق يومي.. لكنني لن أتلوى.. مهما كان الإزعاج.. سيتعود عقلي عليها كدقات عقارب الساعة

عند النوم.. ومع الوقت لن يسمعها.. ستمل وتُغادر.. وإن سمعتها سهواً سأسامح نفسي..

فتحت اللوح المحفوظ فوجدت:

الخروج من النار وزيارة للجنة

وفي الصفحة البيضاء كانت لاتزال نفس الكلمة هنالك:

القلم أسفل الفراش

قفزت على الفراش بصورة تلقائية كي أستطيع النظر أسفله بالطريقة الوحيدة التي تعودت عليها.. ومن ثم وبعد اتخاذي لوضع الحفاش إياه، وقبل أن أنظر.. توقفت.. ومن ثم أغمضت عيني محاولاً إيجاد صوت المنطق.. ونفضت رأسي بعدها وقمت من الفراش بصورة طبيعية.. لأنظر أسفله بصورة عادية.. وأنا على الأرض مهملاً خوفاً.. لأجده هنالك وسط الأتربة وخيوط العنكبوت، وجدته أخيراً.. ترددت كثيراً قبل أن أمد يدي.. كانت عشر دقائق من القلق أو أقل حتى مددتها أخيراً.. مساحاً نفسي على هذا التردد.. يدي تتوغل داخل المنطقة المحظورة منذ سنوات لتقبض على القلم.. سحبته للخارج وأنا أشعر بالإثارة.. وغير مصدق أنني فعلت هذا حقاً.

كان صندوقاً أبيض قديماً تغطيه الأتربة كالغشاء.. مسحت الأتربة والوسواس القهري يحاول أن يمنعي..

أعطيت لمعاناً واضحاً وظهرت نقوش لقلب وعقل، وشعرت
أن رائيته كالنسيم.. مسحته كلياً بقطعة قماش معطياً نفسي
الوقت لأصدق أن القلم بين يدي حقاً، وضعت برفق بجانب
اللوحة المحفوظ على المكتب وعيني لا تفارقه.. وقبل أن أفتح
العلبة لأخرجه جاءني رسالة أخرى من حور:

مستنيك فـ الجنة

حاولت أن أفكر بوضوح لبعض الوقت في معنى ما
تقصده (حور)، فجاءتني فكرة مجنونة نوعاً ما، تركت القلم
واللوحة المحفوظ وذهبت للخارج.. كانت الغرفة المغلقة
الآن مفتوحة ومتفحمة.. أهملتها وأكملت طريقي ناحية
الغرفة المقابلة التي لطالما أردت أن أقضي بها وقتي، ولكني
كنت أ منع نفسي بشئ الطرق.

أمسكت المقبض وأخذت شهيقاً عميقاً وتركته يذهب
مع تحريكي إياه.. لأرى (حور) تنظر لي.. ولتسرق جميع
الأنفاس والهواء.. ولتستفس عيني من زهور عينيها الذكية،
شعرت وكأنني في هذه اللحظة التي تدوم لثانية عند الاستيقاظ
من النوم، ناسياً مشاكل وأفكار الأمس التي نمت وهي
تُصاحبني.. قبل أن يهجم العقل بأفكاره، هجرني كل شيء
الآن عدا الأمان.

لم تتكلم (حور) وكأنها كانت تشعر أنني أريد هذا
الصمت المؤقت.. غادرت عيني عنها وبدأت بجولة في

محتويات الغرفة.. لمحت جميع كتبتي التي أشتريتها وأجلت
قراءتها لأنني أحبها.. فرشتي وألواني والمزيد من اللوحات
كاللوحة الفارغة المعلقة فوق فراشي.. التلسكوب هدية
(حور) ينظر إلى السماء من خلال تلك النافذة التي تُعلن
غروب الشمس.. جهاز الحاسب النقال.. صناديق تحمل
أساء (أدهم) (أمي)، وتحتوي أشياءهم الثمينة، وصندوقان
يحملان اسمي، يحملان الذكريات، تظهر من أحدهما كرتي
التي أخذتها (حواء) في أول مرة كلمتها.. ودرجة مكسورة
من السلم الخشبي.

- حور.. أنا ماستهل كيش.. انتي ممكن تلاقي الشخص
الطبيعي اللي يقدرك ويحبك.

مع إن عمر ما حد هيبك قدي

قلت ما قلت وأكملت بداخلي.. فقالت (حور) ما تمنيت
أن أسمعها:

- انت الشخص الطبيعي اللي أنا بحبه يا آدم.

- أنا مش طبيعي يا حور.. أنا شخص غريب.. أنا مش
الحاجات اللي ف الأوضة دي.. أنا الأوضة الثانية اللي لو
شفتها هتخافني مني.

قلتها نافيًا التهمة.. قلتها منتظرًا أن تخرج لتراها ولا
تعود.. ولا أتمنى أن تفعل.

- مش عايزة أشوفها.. أنا شايفاك انت.

- لو عرفتي يا حور مع الأيام هتسييني.

- لا.. انت مش هتعرف نفسك أكثر ما أنا عارفك..
مفيش حاجة تخليني أبعد.

ابتسمت.. فشعرت أن بعض الأتربة قد غادرت وجهي
مكان هذه الابتسامة.

- يا حور أنا..

قاطعتني قائلة:

- بتحتيني.

قلت من خلال قلبي، مقاتلاً الدمع المحبوس بعيني كي
لا يهرب:

- بحبك.. أنا عرفت الحب بسببك.. بس جوايا كلام
كثير مش عارف أوصله ليكي.. نفسي أعرف الطريقة.. أنا..
أنا خايف يا حور.

لمت نفسي لأني قلتها، لكنني أكملت:

- أنا خايف أخسر ك.. وعشان كده بحاول أخسر ك.. أنا
نفسي أكون معاكي.. وعشان كده ببعد عنك.. مفيش حاجة
الدنيا دي جبتهالي إلا وبترجع تاخدها مني.. أنا أسف يا
حور.

اقتربت مني ووضعت يدها على وجهي فشعرت
بالكمال، وقالت وهي تمسح دموعي التي خانتني:

- آدم.. أنا عمري ما محبك على شعرة وأسيبك على
شعرة.

شعرت بالألم لأني من المفترض أن أكون أنا اليد التي
تمسح دموعها وليس العكس.

- لكن يا حور..

وضعت يدها على فمي فلم أكمل.. أنا لم أعرف ما الذي
كنت سأقوله على أية حال.. لكن الآن وأعيننا تتلاقى بتلك
اللحظة.. رأيت فكرة اللوحة أمامي.. اللوحة الفارغة أعلى
فراشي التي لطالما أجلت رسمها.. كانت شخصاً غير مهمتم
بكل ما حوله ولا يري سوى فراشتين.. عيني (حور).

هدوء بالغ التفث وفهمت الآن لماذا وضع (ملاك)
الأباجورة هنالك.. السواد بكل مكان.. (حور) تطاوعني
ونمشي معي.. بجانب قدمها ما تبقى من قناع وحش النوم..
(حور) لا تلتفت وتظن لي غير ملقية بالأكل ما حولنا..
كم أتمنى الآن أن أخذها في حضني.. وضعت أصابعي أمام
ضوء الأباجورة فارتسمت وردة على الحائط، فتعجبت
(حور) بعينها، فحوّلت الوردة لورد.. فابتسمت لشئير
الظلام، فعكست روحي.. فرسمت لها خاتماً وأشرت لها

بأن تقترب.. فاقتربت، فأشرت لها أن تضع إصبعها أمام الإضاءة، فوضعتها فصار الانعكاس يعكس إصبعها وكأنها تليس الخاتم، فإذا بي أسحب خاتماً حقيقياً بيدي الأخرى قد وضعه (ملاك) بجيبى، وأقدمه لها قائلاً:

- جنة ونار.

ابتسمت وأخذت الخاتم وهي تُشير برأسها بالموافقة.. فحضنتها وشعرت أن جميع الأفكار الخبيثة تلاشت.. وليعكس ضوء الأباجورة ظلنا ونحن كيان واحد.

* * *

كنت مبتهماً وأضع يدي على كتف (حور) التي تبتسم بدورها.. الصورة التي كانت لا تُفارق ذهني.. أنها ستخونني.. لم تفارقه إلى الواقع.. لكني رأيتهما كما أراهما بذهني على أية حال.. عقلي كان يحاول تسجيل كل لحظة في حياتي على أنها خطأ ما، لكني أعلم الآن.. أن الخطأ الوحيد هو ذلك الإحساس بالخطأ.

دائماً ما كنت أرى اللحظة على أنها ليست اللحظة المثالية.. دائماً هناك ذلك الشيء الذي إن فعلته، وذلك الشيء الذي إن ملكته، ولكن لو فكرت قليلاً في الطريق الصحيح لوجدت أن هذا الشيء كان موجوداً سابقاً، وتلك الفكرة كانت موجودة أيضاً بثوب مختلف.. ولكن دائماً ما كانت نفسي تُبّرر أن هذه المرة الأمر (غير).. مقدمة على ذلك

أدلتها وبراهينها الواهية.. التي كنت أصدقها وأُخدع.. كما خُدعت سابقاً.

كل ما أسمع من وساوس داخل عقلي الآن مذبذب بصوت إبليس يُرَدّد.. جملة واحدة.. مها كان كلامه وما يقول، أسمعته يتحوّر إلى (انضم لي في الجانب المظلم).. لكن لن أكون كإبليس يخوض المعركة وهو يعلم أنه خاسر، ربما كنت أنظر للعالم بالطريقة الخاطئة.. على الأقل أنا أعلم الآن أن الوحوش لا تنام أسفل فراشي ولكنها مستيقظة داخل عقلي.. ربما كنت أعلم سابقاً لكني لم أستطع أن أتعامل مع الحقيقة.. الفكرة كالرمال المتحركة، كلما حاولت أن أقاوم كانت تسحني أكثر.. على الأقل أنا أعلم الآن الطريقة التي يُخدعني بها عدوي ولن أكون فريسة سهلة.. لقد كنت فأزاً اتبعت الجبن حتى وجدت نفسي في القفص.. طريق العودة من اللامنتقية صعب.. طريق العودة من المرض شاق.. لكن ما البداية إلا خطوة بالطريق الصحيح كما قال لي (ملاك).. أهم خطوة للإنسان أن يتخطى عقبة نفسه، فقط عندما تستطيع امتلاك نفسك تُصبح حراً.

أمامي صفحة الغد بيضاء في اللوح المحفوظ.. أستطيع أن أكتب ما أريد وأتمنى، فقد حصلت على القلم.. لامست أصابعي الصندوق الذي يحمله ولامست نقوش القلب والعقل المتداخلين.. كنت أستمع باللحظة قبل أن أفتحه.. سأكتب في هذه الصفحة كل أحلامي.. سأعرف ما يهمني

حقاً.. وسأحفظه قريباً من قلبي.. ولن أسمح لتوافه الأمور
أن تُفسد أشتياي الثمينة.. سأستخدم حرية إرادتي، هدية الله
لي.. سأتحلّص من وساوسي.. وسأطرد شياطيني.. سأرسم
لوحتي الموجهة بالغد لتكون هديتي لنفسي في يوم مولدي..
سأكتب ما أريده حقاً، ليس ما يمليه عليّ وساوسي.. ليس
عليّ أن أقلق.. ليس عليّ أن ألوم نفسي وأعذبها على كل شيء
وأي شيء..

الصفحة بيضاء.. هذا ما أعلمه، وسأكتب ما أريد..
فتحت الصندوق برفق، فلم أجد إلا مرآة.

الأربعاء

4 سبتمبر 28 شوال

1434 --- 2013

29 مسري

لا يكفي أن ننشغل.. السؤال هو.. ما الذي يشغلنا؟

بعد (ربنا) شكراً قليلة جداً

أبي وأمي وأحمد وعمود وعمر: شكراً على إنكم البيت.
عمرو وحسن وأدم المهدي: شكراً على كم الأكرالي عشتوه
عشان غيركم مايعشوهوش.. شكراً إن قصة حياتكم غيرتلي
حياتي.

ياسر أحمد: شكراً على إنك قرئتلي وقت ماحدث قرالي..
شكراً على إنك كنت أخويا، ولسه أخويا برغم موتك.
عبد الرزاق خطيب: شكراً على إنك كنت موجود وقت
مالقتش حد جنبي.

ريم أبو العينين: شكراً على (ماتياسش) فعرّ ياسي.
نورهان علي: شكراً إنك سمعتيني وأنا مش عارف بقول
إيه.

رشا علاء: شكراً على إنك ماخوفتني لما حاولت أخوفك
مني.

كريم جلال: شكراً على إنك حاولت تقوالي مع إنك
مابتحبش القراءة.

مارك المصري: شكراً على إنك أصررت إني أبتسم.

ياسمين السعدني: شكراً على إنك مدّيتي إيدك وانتي
لسه ماتعرفنيش.

جهاد الغرياني وأمنية المهدي: شكراً على إنكم اديتوا
للحياة معنى.. شكراً على إنكم كتتم أعزّ صحابي ف وقت
من الأوقات.

مريم صالح وأميمة الخليل ولينكن بارك وبيردى: شكراً
على مزيكتكم الي كانت صاحبي ف الرحلة.

- للتواصل

Abdelhamid_Abdellatif@hotmail.com

اللوح المحفوظ

من بين كل خمسين شخصًا هناك واحد مصاب
بالوسواس القهري..

و(أدم المهدي) كان واحدًا من الذين يعيشون في
حفرة الوسواس.. ينظر إلى الدنيا بعدسات الفكر
المضطرب، بينما يحافظ على صورته الاجتماعية
بمكياج العاقل..

كانت كل محاولاته للخروج من المرض هشة ودائمًا
مؤجلة، حتى أتته يومًا مكالمة من حبيبته لم يستطع
أن يجيبها.. جعلته تلك المكالمة يصل إلى ذروة
الوسواس، ليتحول بعدها إلى الحالة الوحيدة التي
ذهبت بالمرض إلى حيث لم يذهب أحد من قبل..



عبد الحميد عبد اللطيف، روائي وشاعر
مصري من مواليد ١٩٩٠ بمحافظة
الإسكندرية. تخرج من كلية التجارة قسم
إدارة الأعمال. صدرت له رواية سنة ٢٠١٢،
وديوان شعر سنة ٢٠١٤ وتعتبر " اللوح
المحفوظ " روايته الثانية.